هـؤلاء قـدوتنا

تأليف

خير سليمان شواهين   شهرزاد صالح بدندي

المقدمة

يحزن المسلم كثيرا لما يشاهده من أفعال الشباب والشابات هذه الأيام، حيث يقتدون ويقلّدون فئات من ألناس أو أشخاصا بعينهم لا يساوون في ميزان ا   شيئا،قال تعالى:

{.. إن أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إن اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} (١٣) سورة الحجرات

فنجد بعضهم يقلد ممثّلا ماجنا أو ممثّلة ساقطة ،أو مطربا لا يتقن غير الزعيق والنعيق، أو راقصة لا تعرف غير هزّ خصرها، أو لاعبا لا يتقن إلاّ رمي الكرة بقدميه،ولا يستخدم الكرة الفارغة التي يحملها فوق كتفيه،والمشكلة أن معظم اللاعبين الذين يقلدهم الشباب من غير المسلمين وجميع شعاراتهم كفرية تتضمن الصليب ورموزا أخرى مثل رموز عبدة الشيطان والماسونية واليهودية والبوذية وغيرها، والأدهى من ذلك تجده عند من يقلد جنديا أجنبيا كافرا قتل وسفك دماء المسلمين واعتدى على الأعراض والحرمات فيحلق رأسه بطريقة حلق ذلك الجندي،أو يجعل سرواله نازلا للأسفل ليكشف نصف قفاه مقلدا الشواذ في بلاد الغرب.

وبعض هؤلاء الشباب ممن تجدهم يحملون أفكارا يدّعون أنها (ثورية، أو إصلاحية أو بطولية) يقلدون ذلك الشيوعي الملحد العفن(جيفارا)، أو ذاك -البطل- الذي يتقن البطولة في الأفلام فقط،رامبو أو الرجل العنكبوت.

كما تجد بعض الأطفال والشباب يقلّدون شخصيات كرتونية قميئة مثل:الفأر ميكي أو بوباي أو زورو وجميع هذه -الأشياء- لا تصلح إلا للإلقاء في سلة القمامة.

ما يحزن كل مسلم واع رؤيته لهؤلاء الشباب يبحثون عن البطولة المزّيفة لدى أمم الشرق والغرب مع أنه لا يوجد أمة في العالم أنجبت أبطالا حقيقيين لهم قيمتهم في ميزان البشر ،وكذلك في ميزان ا   سبحانه وتعالى مثل أمتنا.

وحتى في الجاهلية كان العرب يتصفون بكثير من مكارم الأخلاق،مثل الكرم والشجاعة والعفة وغيرها،وهذه الأخلاق لا توجد لدى –أبطال اليوم- الذين يقتدي بهم أبناءنا.

(قال رسول ا صلى ا عليه وسلم: إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)
أخرجه الحاكم في المستدرك (٣١٣/٢) ، و صححه الألباني في الصحيحة (٤٥).
فنجد حاتم الطائي أكرم العرب،ونقرأ لعنترة **العبسي** هذا الشعر **فهو يغض نظره** وهو جاهلي لم يدرك الإسلام ولم ينعم بحلاوة الإيمان

وأغض طرفي ما بدت لي جارتي حتى يواري جارتي مأواها
إني امرؤ سمح الخليقة ماجد لا أتبع النفس اللجوج هواها

بمن نقتدي:

قال تعالى:

١-{لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيرًا} (٢١) سورة الأحزاب

٢-{قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ ...} (٤) سورة الممتحنة

٣-{لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ} (٦) سورة الممتحنة

٤-{أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ} (٩٠) سورة الأنعام

لقد أمرنا سبحانه وتعالى أن نقتدي برسولنا الكريم محمد صلى ا عليه وسلم وجميع أنبياء ا وأتباعهم من المؤمنين الصالحين المخلصين.

ونحن في هذا الكتاب نقدم – وبشكل مختصر[1]- أمثلة تتضمن عددا من أبطال أمتنا من الرجال والناس ابتداء من عصر النبوة وحتى عصرنا الحالي، وكل واحد من هؤلاء الأبطال يمثل وجها مختلفا لأوجه البطولة،فمنهم المجاهدين الشجعان،ومنهم أهل العلم أو الزهد أو العفة ،ومنهم الشباب والشيوخ،وبعضهم من العرب والبعض الآخر من إخواننا المسلمين من غير العرب.

وكما ذكرنا سابقا فإن قدوتنا هم الأنبياء وعلى رأسهم نبينا الكريم محمد صلى ا عليه وسلم،وآل بيته الكرام والخلفاء الراشدين وجميع صحابته رضي ا عنهم جميعا

قال صلى ا عليه وسلم: "من تشبه بقوم فهو منهم "

وقال الشاعر:

فتشبهوا بهم إنْ لم تكونوا مثلهم　　　　إن التشبـه بالكرام فـلاح

ورحم ا الإمام الشافعي حين قال تواضعاً:

أحب الصالحين ولست منهم　　　　لعلي أن أنـال بهم شفاعـة

وأكره من تجارته المعاصي　　　　وإن كنا سواء في البضاعـة

ونحن في هذا الكتاب لن نتحدث عن سيرة رسولنا الكريم صلى ا عليه وسلم،وآل بيته والخلفاء الراشدين لأنه على كل مسلم أن يهتم بقراءة سيرهم والتأسي بأفعالهم، وسير هؤلاء العظماء تحتاج لأضعاف هذا الكتاب الصغير، ويوجد في المكتبات

[1] لقد قدمنا تعريفا تصرا بؤلاء الأبطال ح رج الكتاب صغ ا كن لأي شخص أن يقرأه ،ومن يرغب عرفة ا زيد عن أي بطل من هؤلاء الأبطال كنه الرجوع إ الكتب وبعض مواقع الإنترنت الإسلامية مثل موقع مفكرة الإسلام الذي يقدم مواضيع ت عنوان(أبطال سقطوا من الذاكرة)

الكثير من الكتب التي تقدم سيرة رسولنا صلى ا   عليه وسلم وآل بيته وصحابته رضي ا   عنهم جميعا.

ويمكن أن نورد في هذه المقدمة قصة قصيرة عن أحد ساداتنا من آل البيت الكرام وهو زين العابدين بن علي بن أبي طالب رضي ا   عنهم جميعا:

علي بن الحسين زين العابدين وصدقة السر:

كان علي بن الحسين زين العابدين يحمل الصدقات والطعام ليلاً على ظهره، ويوصل ذلك إلى بيوت الأرامل والفقراء في المدينة، ولا يعلمون من وضعها، وكان لا يستعين بخادم ولا عبد أو غيره لئلا يطلع عليه أحد.

وبقي كذلك سنوات طويلة، وما كان الفقراء والأرامل يعلمون كيف جاءهم هذا الطعام.

فلما مات وجدوا على ظهره آثاراً من السواد، فعلموا أن ذلك بسبب ما كان يحمله على ظهره، فما انقطعت صدقة السر في المدينة حتى مات زين العابدين.

في هذا الكتاب ذكرنا أشخاصا معظمهم من عامة الناس ولكنهم سطروا سيرهم بحروف من نور وأصبحوا قدوة لنا وسيرتهم نورا يضيء لنا الطريق.

وهذا الكتاب نقدمه لأبنائنا الشباب والشابات رجال ونساء المستقبل متمنين من كل منهم اختيار أحد هؤلاء الأبطال ليكون قدوته ليسعد في الدنيا والآخرة،ويلقي كل ما يملك من رموز وشعارات وصور لتلك القمامة التي ذكرنا سابقا في المكان المناسب لها وهو سلسلة النفايات.

وندعو ا   أن يتقبل هذا العمل ويجعله خالصا لوجه الكريم،ولا تنسونا من صالح دعائكم.

المؤلفان

عبد ا ذو البجادين

الصحابي الذي ضحى بكل ما يملك في سبيل دينه

هو عبد ا بن عبد نهم بن ثعلبة من الصحابة المهاجرين السابقين.

كان عبد ا يتيماً فقيراً، فكفله عمّه، وأعطاه إبلاً وغنماً. فلما قدم رسـول ا ﷺ إلى المدينة اشتاق إلى زيارة رسول ا .

فقال عبد ا لعمّه: يا عمّ لقد انتظرت إسلامك فلا أراك تريد محمداً فأذن لـي بالإسلام.

فقال عمّه: وا لئن اتبعت محمداً لا أترك بيدك شيئاً أعطيتك إياه إلا انتزعتـه منك حتى ثوبك.

فقال عبد ا : وا إني متبع محمداً وتارك عبادة الحجر وهذا ما بيدي فخـذه. فأخذ كل ما أعطاه حتى جرّده من ثوبه.

فأتى عبد ا أمه فقطعت له بجاداً (البجاد كساء فيه خطوط من الجلد ويـسمى الآن شوال أو جوال). فأتزر عبد ا بواحد وارتدى الآخر ثم ذهـب إلـى المدينـة، واستلقى بالمسجد حتى الصباح، فرآه الرسول الكريم ﷺ فقال من أنت؟

قال: اسمي عبد العزي (اسمه آنذاك).

قال رسول ا ﷺ (اسمك عبد ا ذو البجادين). ثم قال الرسول الكريم: انزل منّي قريباً، وكان يعلّمه القرآن.

وظلّ ملازماً للنبي ﷺ ليقتبس من هديه وعلمه.

ولقد شهد له النبي ﷺ حين قال: (إنه أواب).

وفي غزوة تبوك خرج عبد ا مجاهداً فقال للنبي: يـا رسـول ا ادع لـي بالشهادة.

فربت النبي ﷺ على عضده وقال: اللهم إني أحرم دمه على الكفار. فقال: ليس هذا أردت.

قال النبي ﷺ: إنك إذا خرجت غازياً فأخذتك الحمى فقتلتـك فأنـت شـهيد أو وقعتك دابتك فأنت شهيد.

فأقاموا بتبوك أياماً ثم توفي عبد ا ذو البجادين رحمـه ا وأدخلـه فـسيح جنانه، وجعله نوراً لنا نقتدي به ونسير على دربه، فلقد ترك ما يملك من عطايا عمّـه وسار على نهج رسول ا ﷺ، فعوّضه ا بقراءة القرآن وحبّ رسول ا ﷺ.

خولة بن ثعلبة

المجادلة

نزلت الآية الكريمة: ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَـٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ۝١ صدق الله العظيم (سورة المجادلة:١).

هل تعرف المرأة التي كانت تجادل الرسول –صلى الله عليه وسلم-؟ إنها خولة بنت ثعلبة، وزوجها هو أوس بن الصامت أخ عبادة بن الصامت.

كانت من ربّات البلاغة والفصاحة والجمال، وكانت سعيدة في حياتها الزوجية، إلا أنها كانت تصلي يوماً وعندما انتهت صلاتها بالتسليم، حتى جاء زوجها مداعباً، فنفرت منه، فملكه الغضب الشديد فحرّمها على نفسه قائلاً وهو قول كان يقال في الجاهلية: "أنت علي كظهر أمي"، وهذا النوع من الطلاق لا رجعة فيه وعُرف بالظهار.

فذهبت خولة بنت ثعلبة إلى الرسول –صلى الله عليه وسلم- شاكيةً له حالها، وبينما هي تشتكي إلى الرسول الكريم –صلى الله عليه وسلم- نزل عليه الوحي.

قال تعالى: ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَـٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ۝١ ٱلَّذِينَ يُظَـٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَـٰتِهِمْ ۖ إِنْ أُمَّهَـٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّـٰٓـِٔى وَلَدْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ۝٢ ﴾ صدق الله العظيم (سورة المجادلة: ١-٢).

فقال لها الرسول ﷺ مُريه أن يعتق رقبة. فقالت وأي رقبة وا ما يجد رقبة وما له خادم غيري، فقال لها الرسول الكريم مُريه فليصم شهرين متتابعين. فقالت: وا يا رسول ا ما يقدر على ذلك، فلقد ذهب بصره مع ضعف بدنه.

قال الرسول الكريم: مُريه فلْيُطعم ستين مسكيناً وسقاً من تمر. قالت: يا رسول ا ما ذاك عنده. قال رسول ا ﷺ: فإنّا سنعينه بفرق من تمر. فقالت: وأنا وا سأعينه يا رسول ا بفرق آخر. فقال لها الرسول ﷺ: أحسنتِ وأصبتِ فاذهبي وتصدّقي عنه واستوصي بابن عمك خير. قالت: فعلت.

ولقد أورد السيوطي في الدر المنثور أن عمر بن الخطاب ﷺ قد مرّ بهذه المرأة أيام خلافته وكان خارجاً من المنزل فاستوقفته طويلاً ووعظته قائلة له: يا عمر كنت تدعى عمير ثم قيل لك عمر ثم قيل لك يا أمير المؤمنين.

فاتّق ا يا عمر. فإن من أيقن بالموت خاف الفوت ومن أيقن بالحساب خاف العذاب، وعمر ﷺ واقف يسمع كلامها بخشوع فقيل له يا أمير المؤمنين أتقف لهذه العجوز هذا الوقوف كلّه؟ فقال عمر: وا لو حبستني من أول النهار إلى آخره لا زلت "إلا الصلاة المكتوبة".

ثم سألهم: أتدرون من هذه العجوز؟!

قالوا: لا.

قال عمر ﷺ: هي التي قد سمع ا قولها من فوق سبع سماوات. أفيسمع ربّ العالمين قولها ولا يسمعه عمر؟!!

ربّاه... ما أجمل هذا القول ... يخرج عطراً ... يفوح في كل الأرجاء... يملأ الدنيا عبيراً ... ويستقرّ على الزهور ندىً ... رطباً ... وما هذه السيدة ... وأي لسان لفصيح تمتلك، وأي شجاعة في قول الحق ... تركن في أجزائها ... في جسدها ... في روحها التي تسبّح للواحد الأحد ... لا تهاب الأمراء ولا السلاطين ... تقف ... تعظّ الخليفة ... والخليفة واقف ... بين يديها ... خاشعاً ... فكلامها لم يأتِ من فراغ.

أنه الحقيقة المؤكدة لنهاية المخلوقات، فأين أنت ذاهب أيها السلطان ... والخليفة ... من حساب .. وعذاب مؤكد ... وماذا ستقول؟ عندما تقف بين يديّ ربّك ... هل سينطلق لسانك كالسيف ... أم تتلعثم ... وتبقى ترتعد خوفاً ... تكلّم ... تكلّم الآن ... أين هو صوتك ... أين ذهب هل سافر في رحلة بعيدة؟!

أسماء بنت عميس

الصحابية المهاجرة الوفيّة

هاجرت أسماء مع زوجها جعفر إلى الحبشة، وتحمّلت مشاقّ السفر والأذى، غير آبهة بكل شيء، تاركة ورائها المال والأهل والدار والفراش الناعم الوثير في سبيل ا .

وعندما عادت من أرض الحبشة إلى المدينة المنورة قال لها عمر: يا حبشية سبقناكم بالهجرة. فقالت: كنتم مع رسول ا ﷺ يطعم جائعكم، ويعلّم جاهلكم، وكنّا البعداء الطرداء، أما وا لآتين رسول ا فلأذكرنّ له ذلك.

فلما أتت رسول ا ﷺ وأخبرته بما قال عمر، قال لها رسول ا ﷺ: للناس هجرة واحدة ولكم هجرتان.

أي سعادة غمرتك يا أسماء وزوجك، فلكم هجرتان، فاهنئي، فلقد هاجرتي هجرتان في سبيل ا ، فقرّي عيناً يرحمنا ويرحمك ا ، يحقّ لكِ أن تتفاخري، تباهي بين نساء المسلمين جميعاً.

وافخري أيضاً بصبرك وتحمّلك للشدائد، فلقد تحملتِ الكثير من الفقر والقهر بمقتل زوجك في مؤتة، فلقد صبرًت ورَعَت أطفالها الثلاثة، بكل قوة وعزيمة.

وكم كانت أسماء - رضي ا عنها- وفيّة، صادقة للزهراء –رضي ا عنها-، فلقد روي أنه لما كان يوم زفاف الزهراء فاطمة -رضي ا عنها- أمر الرسول الكريم نساء المسلمين بالخروج فخرجن مسرعات إلا أسماء قد تأخرت فدخل النبي ﷺ فرأى أسماء فقال لها من أنتِ؟

قالت: أسماء بنت عميس.

قال: ألم أمركِ أن تخرجي؟

قالت: بلى يا رسول ا وما قصدت خلافك ولكن كنت قد حضرت وفاة خديجة فبكت قبيل وفاتها، فقلت لها: تبكين وأنتِ سيدة نساء العـالمين وزوجـة رسـول ا ومبشّرة على لسانه بالجنة؟

فقالت خديجة –رحمها ا -: ما لهذا بكيت ولكن المرأة ليلة زفافها لا بد لهـا من امرأة، وفاطمة حديثة عهد الصبا وأخاف أن لا يكون لها من يتولى أمرها.

فقلت لها: يا سيدتي لكِ عهد ا إن بقيت إلى ذلك الوقت أن أقوم مقامك فـي ذلك الأمر.

فبكى رسول ا ﷺ وقال: "فأسأل ا أن يحرسك من فوقك ومن تحتك ومـن بين يديك ومن خلفك وعن يمينك وعن شمالك من الشيطان الرجيم".

هذه قصة وفاء أسماء بنت عميس للسيدة الخديجة في مماتها ووفاء أسماء بنت عميس لفاطمة في حياتها. إنها قصة تنبع من قلب وفيّ، صادق، قطع العهد ووفاه. فليتنا نقتبس من حكاية هذه السيدة شعلة الوفاء لتكون لنا نوراً في هذه الدنيا المظلمة.

القعقاع بن عمرو

رجل بألف رجل

هو القعقاع بن عمرو التميمي، الشجاع المقدام، شـديد الـذكاء، ذو العبقريـة العسكرية في إدارة المعارك.

قال فيه أبو بكر: لصوت القعقاع في الجيش خير من ألف رجل.

كتب عمر بن الخطاب إلى سعد: "أي فارس أيام القادسية كان أفـرس؟! وأي رجل كان أرجل، وأي راكب كان أثبت؟

فكتب إليه: "لم أرَ فارساً مثل القعقاع بن عمرو ...".

لقد كان القعقاع محبّاً للجهاد في سبيل ا مستعداً دائماً للقتال، فلقـد قـال لـه الرسول ﷺ ما أعددت للجهاد؟

قال: إطاعة ا ورسوله والخيل.

فقال الرسول الكريم: تلك الغاية.

لقد امتلك القعقاع قدرة على إدارة المعارك، ويظهر ذلك واضحاً في معركـة القادسية، فلقد قسم القعقاع جيشه إلى أعشار وهم ألف فـارس، وانطلـق أول عـشرة ومعهم القعقاع فلما وصلوا تبعتهم العشرة الثانية وهكذا حتى تكامل وصولهم في المساء فألقى القعقاع الرعب في قلوب الأعداء (الفرس).

فلقد ظنّوا أن عدد المسلمين مائة ألف، قد وصلوا من الشام، فهبطت هممهـم وخارت قواهم، وبدأ القتال وسمي ذلك اليوم بيوم عمواس وانتصر المسلمون، وكـان يوماً عظيماً، استطاع القعقاع بن عمرو بحنكته وإدارته الحكيمة للمعركة أن ينتـصر، وسطّر بذلك أروع الأمجاد وأعظمها.

شهد القعقاع ؓ اليرموك، ولقد قال فيها :

ألم ترانا علـى اليرمـوك فزنـا كمــا فزنــا بأيــام العــراق

فتحنـا قبلهـا بـصرى وكانـت محرّمة الجنـاب لـدى البعـاق
وعـذراء المـدائن قـد فتحنـا ومرج الصُفّرين علـى العتـاق
فضضنا جمعهم لمـا اسـتحالوا على الواقوص بـالبتر الرّقـاق
قتلنا الروم حتـى مـا تـساوي على اليرموك تفـروق الـوراق

لقد شهد القعقاع اليرموك وفتح دمشق وشهد أكبر وقائع العراق مـع الفـرس، وكان للقعقاع أثر عظيم في قتال الفرس، وكان من أشجع الناس وأعظمهم بلاءً.

الأحنف بن قيس
الحليم

أميرٌ كبير وعالم نبيل، تضرب بحلمه الأمثال.

قال خالد بن صفوان فيه: "كان الأحنف يفرّ من الشرف والشرف يتبعه.

وقيل فيه: عاشت بنو تميم بحلم الأحنف أربعين سنة.

هو أبو بحر التميمي اسمه ضحاك أو صخر، واشتهر بالأحنف لحنف رجليه وهو العوج أو الميل في الرجلين.

كان سيد تميم، أسلم في حياة النبي ﷺ، دعا له سيدنا محمد ﷺ فقال: "اللهم اغفر للأحنف".

قال فقاده عن الحسن قال: ما رأيت شريف قوم كان أفضل من الأحنف.

وقال شاعر فيه:

إذا الأبصار أبصرت ابن قيس ظللن مهابه منه خشوعا

أي أخلاق كانت ترافق ذاك السيد الجليل، وأي عفّة ومحبة من قومه؟

يقال عنه: "هذا الذي إذا غضب غضب لغضبه مائة ألف من بني تميم لا يدرون فيم غضب".

لقد امتاك هذا السيد الجليل والرجل العظيم أخلاقاً حسنة جعلته آسراً لقلوب قومه، شباباً وشيوخاً نساءاً وأطفالاً، كيف لا، وهو الرحيم، الحليم، القادر على إدارة المواقف بقوة ومرونة وكل ذلك ينبع من قلب رحيم وعقل كبير، قد ترعرع على دين الحق ونهل من السنّة النبوية الشريفة فلنجعل من هذا الأمير الورع قدوة لنا.

مصعب بن عمير

مصعب الخير ..سفير رسول ا

هو مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف.

نشأ منعماً في ظل والديه في بيت يزخر بالفاخر من الثياب والنادر من العطور، فأصبح بذلك من أكثر شباب قريش رقّة ونعومة وثراء، ولكن كيف يرضى بشغف العيش، ويلبس الخشن من الثياب فما الذي غيّر الفتى، وحوّله هذا التحول العظيم، لقد أمسى راضياً قانعاً بالقليل القليل.

إنه الإسلام، ما أن لامس قلب الفتى حتى أسرع إلى الرسول الكريم ﷺ في دار الأرقم بن أبي الأرقم، إنه مصعب الخير كما سماه رسول ا .

قال عنه رسول ا : "انظروا إلى هذا الذي قد نوّر ا قلبه لقد رأيته بين أبويه يغذّيانه بأطايب الطعام والشراب ولقد رأيت عليه حلة شراها أو شريت له بمائتي درهم فدعاه حبّ ا ورسوله إلى ما ترون".

كان مصعب وحيد أمه المدلل فحرص على إخفاء إسلامه عنها. وما أن علمت أمه بالخبر حتى سارعت إلى حبسه في منزله حتى يرجع عن دينه ولكنه استطاع الهروب وفرّ بدينه إلى الحبشة.

وهاجر هجرة الحبشة الثانية وما أن عاد إلى مكة حتى أعدّه الرسول الكريم لمهمة هامة وهي أن يكون رسول رسول ا ﷺ إلى المدينة المنورة.

فلقد علّم الناس القرآن، ودعا إلى الإسلام سراً وعلانية، وبذلك يكون أول سفراء الإسلام.

وكان ﷺ أوّل من جمع الناس للجمعة بالمدينة المنورة، شهد بدر واختاره ا للشهادة في سبيله يوم أحد، فلقد حمل مصعب لواء المسلمين في أحد فضربت يده

فحمل اللواء بيده اليسرى فضربت فحمل اللواء بعضديه وهو يقول: "ومـا محمـد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل".

وبعد ذلك توفي رحمه ا وهو يناهز الأربعين سنة، رحم ا الشهيد الذي كان وما زال شرفاً للإنسانية بتخليه عن الملذات من أجل دين الحق.

ربعي بن عامر

المفاوض الشجاع

صحابي جليل اشتهر بشجاعته وطلاقة لسانه، ولديـه قـدرة عظيمـة علـى التفاوض، لم تمنعه إعاقته من الذهاب إلى أقصى الدنيا للمناقشة والتفاوض مع الأعداء، فلقد كان يعاني من عرج وصعوبة في الحركة والمشي.

أرسله سعد بن أبي وقاص إلى قائد الفرس رستم، فكان بذلك من أنجح السفراء والمبعوثين السياسيين، لذلك فيذكر التاريخ أن شخصاً لديه إعاقة واضحة قـد تحـدى أكبر قادة جيوش العالم في قصره الإمبراطوري.

لبس ربعي بن عامر ثياب الحرب وامتطى صهوة حصانه وثقته بنفسه عالية، مستمدة من وحي ا سبحانه وتعالى، ذهب مطمئناً آمناً فإن قتل فهو شهيد وإن عـاش فهو عزيز.

وما أن سمع رستم بقدوم ربعي بن عار حتى أمر بزخرفة المكان، رغبةً منـه في إرهاب رسول المسلمين أو ترغيبه.

فما كان من ربعي الذي تربى في مدرسة المصطفى محمد ﷺ أن سار باتجـاه رستم فوطأ بقدم حصانه السجاد الوثير وترجـل عـن حـصانه وربطـه بوسـادتين مصنوعتين من الحرير والذهب.

ولما دخل على رستم اختار أن تكون الأرض مجلساً له.

فقال له الحرس: ما حملك على فعل ذلك؟

قال ربعي بن عام: "إنّا نكره أن نجلس على زينتكم".

هنا علم رستم أن كل ما فعله ووضعه من زينة لم تجدي نفعاً فأصابه الإحباط فبدلاً من أن يرهبوا رسول ا أرهبهم هو بإيمانه وإخلاصه لدينه.

قال رستم: ما جاء بك؟

ردّ ربعي: "ا جاء بنا وا أبعثنا إليكم، لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة ربّ العباد، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة".

واستمر ربعي بالتفاوض مع رستم وأنهاها بإعطائهم ثلاثة أيام للتفكير (كمهلة).

بهذا الموقف العظيم، أعطانا ربعي بن عامر، درساً في القوة والشجاعة ووضوح الحجة والقدرة على التفاوض بلا خوف، لقد حدد غاية المسلم وهي عبادة ربّ العباد.

وحدد مصير المسلم وهو الجنة الموعودة، وكل الإغراءات من حرير وذهب لا تهزّ شعرة في رأس المسلم الواثق بربه.

وكانت معركة القادسية وبداية فتح بلاد فارس. وكان البطل ربعي بن عامر يحرّض الناس على القتال قائلاً: "إن ا هداكم للإسلام وجمعكم به وأراكم الزيادة في الصبر والراحة فعوّدوا أنفسكم على الصبر تعتادوه ولا تعودوها الجزع فتعتادوه".

رحم ا هذا البطل الشجاع، وجعله قدوة لنا في هذه الأيام العصيبة.

عبد ا   بن أنيس

صحابي مجاهد

أي رجل شجاع، ذلك الذي يصلح لعميلة جهادية ليست عادية، هي خاصة بكل معانيها، بقدرة فاعلها، بجرأته وشجاعته على السير بين صفوف الأعـداء، وتحقيـق المبتغى، عملية خطيرة ودقيقة، تحتاج إلى رجل شجاع، ولكن كل الرجال شجعان، فأي شجاعة أراد رسول ا ﷺ وأي جرأة عنى.

هو رجل يمتلك شجاعة نادرة لا يهاب أحد، ولا يخشى الرجال، يسير دونمـا وجل، وحيداً، يمتلك صمتاً مهيباً بين جوارحه. ولهذا اختاره رسول ا ﷺ هو عبد ا بن أنيس الخزرجي الأنصاري، وهو من السابقين إلى الإسلام أسلم قبل الهجرة وشـهد بيعة العقبة، حضر المعارك والمشاهد مع الرسول الكريم.

هذا المجاهد الذي يملك هدوء الأعصاب وحسن التصرف والذكاء والفطنة، هو الأجدر للقيام بالمهمة، فدعاه رسول ا ﷺ وأخبره بأن ابن نبيح الهذلي متواجـد فـي معسكره وسط جنوده يعدّون العدّة للقضاء على رسول ا ، وأخبره رسـول ا ﷺ أن ابن نبيح الهذلي ذا هيبة وشخصية كبيرة مؤثرة وأنه عندما يراه عبـد ا بـن أنـيس فسوف يهابه ويرق ويخاف وتساوره قشعريرة.

لكن عبد ا بن أنيس لم يخاف بل استغرب قائلاً: لماذا أخاف ابن نبيح الهذلي وأنا الشجاع، فلم يسبق لي أن خفت من الرجال.

فقال رسول ا ﷺ: يا رسول ا ما فرقت من شيء قط وما خفت من أحد وأنا لا أهاب الرجال.

فذهب عبد ا بن أنيس وانتسب إلى قبيلة خزاعة، وسار وحيداً وكلما قابل أحد أخبره أنه ذاهب إلى ابن نبيح الهذلي للالتحاق بجيشه.

وبعد صلاة الظهر وصل ابن أنيس إلى قصر قيادة الهذلي بمنطقـة عرونـه، دهش ابن أنيس من الجموع الكثيرة التي رآها وأدرك خطورة الموقف، أخذ يتجول في

المعسكر باحثاً عن القائد الهذلي، فلا بد له أن يقتله كي يتفرق هذا الجمع الغفيـر مـن الجيوش، وإلا هلك الكثير من المسلمين، ولما رأى القائد الهـذلي أحـسّ بالقـشعريرة والرعد يسري في عروقه، استعاد عبد ا بن أنيس شجاعته وهدوئه، وسكنت روحه، فهو بطل ولا بد للبطل ألا يخاف.

يا إلهي، إنه كما وصفه رسولنا الكريم ﷺ ولكنني سأقتله بعـون ا وقدرتـه، سأقضي عليه، أدركته صلاة العصر في المعسكر، وكان القرار الصعب، هل يـصلي العصر؟ فينكشف أمره بين الأعداء، أم يترك الصلاة، لا...لا يجوز فالـصلاة كانـت على المؤمنين كتاباً موقوتاً.

هداه ا إلى التصرف الصحيح. فمضى يمشي إلى الزعيم الهذلي، وفي أثنـاء سيره يدخل في الصلاة، فينوي صلاة العصر، يكبّر تكبيرة الإحرام، فيمـشي وإذا أراد الركوع أو السجود أومأ برأسه، أو أحناه قليلاً.

ما أجمل هذه الصلاة، وما أروعك يا عبد ا بن أنيس، صلاة يؤديها مجاهـد بطل، يصلي ويمشي. يركع سائراً على القدمين، ينظر إلى صلاته، وهدفه أمام عينيه، قلبه مشغول بذكر ا ، وعقله يتمنى القضاء على الهدف، فلا بد أن يحقق هدفه.

وما أن وصل –حتى قال له الهذلي: من أنت؟

قال: أنا رجل من خزاعة.

ماذا تريد، أتيت لأنضمّ إليكم، وأخذ ابن أنيس يتقرّب منـه ويـسليه وينـشده الأشعار والقصص المسلية ويسمعه الأقوال والحكم، ومرّت الساعات وحل الظلام وهما يتسامران.

بدأ النعاس يدبّ إلى الزعيم الهذلي، فاستلّ ابن أنيس سيفه، واستقر في بطـن عدو ا ورسوله ابن نبيح الهذلي.

وهكذا زهق الباطل وظهر الحق.

ومضى البطل هارباً والخيّالة ورائه، إلى أن اختبأ في غار في الجبل، لكن ا
كان معه في كل مكان فلقد أعمى عيون الخيّالة عنه، ووصل إلى رسول ا ﷺ فلمـا
دخل قال له الرسول الكريم: "أفلح الوجه".

فقال عبد ا بن أنيس: ووجهك المفلح يا رسول ا .

أبو محجن الثقفي

المجاهد التائب

هو شاعر وفارس عربي مسلم مغوار من بني ثقيف، وكان رجل من المسلمين قد ابتلي بشرب الخمر وطالما عوقب عليها ويعود ثم يعاقب ثم يعـود للـشرب مـرة أخرى بل من شدة تعلقه بالخمر يوصي ابنه قائلاً:

إذا مت فادفني إلى جنب كرمـة   تروي عظامي بعد موتي عروقها
ولا تـدفني فـي الفـلاة فـإنني   أخـاف إذا مـت أن لا أذقهـا

هكذا قال موصياً ابنه بدفنه بجوار دالية العنف كي يرتوي خمراً.

ولما كان يوم القادسية سمع أبو محجن الثقفي وهو في سجنه في بيت سعد بن أبي وقاص أن المشركين قد أصابوا من المسلمين فأرسل لامرأة سعد بن أبي وقـاص وطلب منها أن تفك وثاقه.

قالت: ولماذا ذلك؟

قال: تخلي عني وتعتريني الدلقاء (أي الفرس) وأقاتل مع المسلمين.

وإني أعاهدك أن أعود بعد القتال وأضع قدماي في القيد كما كنت.

قالت: ما أنا وذلك؟!

قال: أرجوك لقد اشتقت إلى الجهاد في سبيل ا .

فقال لها:

كفى حزناً أن تردي الخيل بالقنـا   وأترك مشدوداً علـيّ وثاقيـا
إذا قمت عن نار الحديد وغُلقـت   مصاريع دوني قد تصم المناديا

فقالت زوجة سعد بن أبي وقاص: لقد اخترت ا وسأطلقك، فخذ فرس سـعد وانطلق.

فخرج أبو محجن كالأسد حتى لحق بالجيش المسلم، فجعل يقاتل ويقاتل وما أن يصل مشركاً حتى يدق صلبه وتقتله، وظل هكذا يقصف المشركين قصفاً ويقتلهم حتى تعجّب القوم منه.

فتعجب سعد بن أبي وقاص من هذا الفارس الملثم! وراح يصيح في القوم من هذا الفارس الملثم؟!

فجاءه انتهت المعركة وغاب الفارس الملثم عن الأنظار، أين ذهب؟! أين ذهب ذلك الفارس المغوار؟!

لقد عاد إلى حيث أتى، أوفى بعهده للسيدة الجليلة، عاد ووضع القيد في قدميـه (لم يهرب بل أوفى بعهده) أي التزام ووفاء بالعهد يا أبا محجن تحمل فـي طياتـك؟!، كان باستطاعته الهروب إلى أي مكان في الدنيا فيبعد عنه السجن والوثاق لكن نفـسه العزيزة أبت إلا أن تفي بالعهد الذي قطعه.

وعاد سعد إلى بيته هانئاً بالنصر العظيم في القادسية، وأخبر زوجته عن القتال وعن الفارس الملثم قائلاً: "لقد لقي جند ا ما لقي ولقوا ولقوا حتى بعث ا رجلاً على فرس أبلق فلولا وا إني تركت أبا محجن في القيد لقلت: إنها بعـض شـمائل أبـي محجن".

قالت: وا إنه أبا محجن.

وقصّت سلمى على زوجها ما حدث فما كان من سـعد إلا أن ذرف الـدموع وقال: فكّوا وثاق أبا محجن.

فقال سعد: يا أبا محجن وا إني لأرجوا ا ألا أجلدك على خمر بعـد اليـوم أبدا.

قال أبو محجن: لا والله ما أشربها بعد اليوم أبدا. قد كنت أشـربها فتطهرنـي بالجد والجلد، وأما اليوم فإن شربتها فلا يطهرني إلا النار، فلم يشربها بعد ذلك أبدا.

فكان يوم القادسية يوم توبة أبا محجن الثقفي، اليوم الذي غيّر حياته، ونظّـف روحه من المعاصي، فهل تحول المعصية بينها وبين الدين.

كلنا ذو خطأ، فلنتأمل في أخطائنا، ونقف وقفة ننظّف فيها قلوبنا وأرواحنا من الشوائب، ولنعود إلى الله، عودة لا رجعة فيها، ولنفعل كما فعل أبـو محجـن الثقفـي ونغيّر حياتنا.

محمد بن كعب القرظي

اليهودي الذي أسلم

هو محمد بن كعب بن سليم القرظي/ نسبةً إلى بني قريظة الطائفة المعروفة من اليهود. كان عالماً كثير الحديث ورعاً، انشغل بالقرآن والذكر.

سمعناه يقول: "لئن أقرأ في ليلة حتى أصبح إذا زلزلت والقارعة لا أزيد عليهما وأردد فيهما الفكر أحَبُّ إلي من أن أهذ القرآن هذا أو قال أنثره نثراً".

كان حريصاً شديد الحرص على التعلّم، وكانت أمه تقول له يا بني لولا أني أعرفك صغيراً وكبيراً طيباً لظننت أنك أحدثت موبقاً لما أراك تصنع بنفسك في الليل والنهار.

قال: يا أماه وما يؤمنني أن يكون ا قد اطلع علي وأنا في بعض ذنوبي فمقتني فقال: اذهب لا أغفر لك مع أن عجائب القرآن تورد علي أموراً حتى انه لينقضي الليل ولم أفرغ من حاجتي.

وقال عون بن عبد ا : ما رأيت أحداً أعلم بتأويل القرآن من القرظي. وقيل كان له أملاك بالمدينة وحصل مالاً مرة فأنفقه. فقيل له: ادخر لولدك. قال: لا ولكن أدخره لنفسي عند ربي وأدخر ربي لولادي.

وعن أبي بردة الطوبي قال: سمعت رسول ا ﷺ يقول: "يخرج من الكاهنين رجل يدرس القرآن دراسة لا يدرسها أحد يكون بعده".

قال نافع قال ربيعة: فكنّا نقول هو محمد بن كعب القرظي. والكاهنان هما قريظة والنضير.

موقفه من عمر بن عبد العزيز:

قال وهيب بن الورد: بلغنا أن محمد بن كعب القرظي دخل على عمر بن عبد العزيز فرآه عمر يشدّ النظر إليه، فقال له: يا إبن كعب إني لأراك تشد النظر إلي نظراً ما كنت تنظر إلي قبل هذا.

قال محمد: العجب العجب يا أمير المؤمنين لما تغيّر حالك بعدك.

فقال عمر: وهل بنت ذلك منّي؟

قال محمد: الأمر أعظم من ذلك إلا أنه يكون استبان ذلك منك.

فقال عمر: يابن كعب فكيف لو رأيتني بعد ثلاث وقد أدخلت قبري وقد خرجت الحدقتان فسالتا على الوجنتين وتقلصت الشفتان عن الأسنان وفتح الفم وارتفع البطن فعلى فوق صدري.

فقال محمد بن كعب: يا عبد ا إن كنت قد ألهمت هذا الأمر نفسك فانظر أن تنزل عباد ا ثلاث منازل:

أما من هو أكبر منك فأنزله كأنه أب لك.

وأما من كان بسنّك فأنزله كأنه أخ لك.

وأما من كان أصغر منك فأنزله كأنه ابن لك.

فأي هؤلاء تحبّ أن تسئ إليه أو يرى منك بعض ما يكره.

قال عمر: لا أحد منهم.

محمد بن القاسم الثقفي

فاتح السند والهند

ولد محمد بن القاسم سنة ٧٢ هـ بمدينة الطائف، وفي سنة ٧٥ هـ صار الحجاج بن يوسف الثقفي والياً عاماً على العراق والولايات الشرقية للدولة الأموية في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان. فعيّن الحجاج عمُ القاسم والياً على مدينة البصرة، فانتقل الطفل محمد بن القاسم مع والده إلى البصرة.

نشأ وترعرع محمد بن القاسم في البصرة وتدرب على الجندية حتى أصبح قائداً معروفاً ولم يتجاوز السابعة عشر من العمر.

قرر الحجاج فتح بلاد السند ووقع اختياره على محمد بن القاسم ليقود الجيش العربي. وتحرك البطل مع جنوده إلى شيراز في سنة ٩٠ هـ وبعد ذلك اتجه نحو بلاد السند فبدأ بفتح مدينة ثم مدينة لمدة عامين.

والتقى سنة ٩٢ هـ مع الجيش السندي بقيادة الملك داهر وجرت معركة دامية انتصر فيها المسلمون على المشركين. واستمر محمد بن القاسم في فتوحاته لبقية أجزاء السند حتى انتهى منها سنة ٩٦ هـ وبذلك قامت أول دولة عربية في بلاد السند والبنجاب (الباكستان حالياً).

لقد كان محمد بن القاسم قائداً بارعاً، ورجلاً عادلاً كريماً، وكان مفكراً راجح العقل، قادراً على التدبير واتخاذ القرار المناسب.

وكان يتميز بالجرأة والمجازفة وكانت قيادته للجيش متميزة بالمرونة. وكان يثير في جنوده بواعث الإيمان الراسخ والعقيدة الصلبة.

ويزرع في قلوبهم الأمل بأن النصر قريب.

وأهم ما يميز محمد بن القاسم تحضيراته العسكرية والإدارية ولقد سطّر بذلك نموذجاً حياً للقائد الفذّ القادر على التأثير على جنوده بطرق علمية مدروسة.

مأساة بطل عظيم:

بدأت مأساة بطلنا العظيم عندما توفي الخليفة الوليد بن عبد الملك سنة ٩٦ هـ وتولى مكانه أخاه سليمان بن عبد الملك الخلافة وكان شديد الكـره للحجـاج بـسبب جرائمه، لذلك أمر بعزل الحجاج ورجاله من مناصبهم، ولما وصل الخبر إلى محمـد بن القاسم وافق على الفور لأنه من القادة الأمراء الذين يعملون لخدمـة الإسـلام ولا يريدون من الدنيا شيئاً. ولا يريد الخروج على الخلافة.

لكن الوالي الجديد يزيد بن أبي .... ألصق تهمة لمحمد بن القاسم وأحضره مقيداً بالسلاسل حتى توفي في السجن تحت التعذيب وهو يقول:

أضاعوني وأي فتـى أضـاعوا ليـوم كريهـة وسـداد ثغـر

ومات شهيداً مظلوماً وبذلك انطفأت شمعة لو قدّر لها البقاء لحرقـت أعـداء الإسلام جميعاً، رحم ا الشهيد البطل محمد بن القاسم الثقفي.

عبد ا بن ياسين

عندما فتح المسلمون بقيادة عمر بن العاص مصر سنة ٢٠ هجرية كان ذلـك بادرة خير لفتح أراضٍ جديدة، ألا وهي بلاد المغرب العربي.

وكانت القبائل البربرية هناك تدين بالمجوسية حتى جاء الإسلام وانتشر بفضل رجال أمثال عقبة بن نافع وحسان بن ثابت وموسى بن نصير.

وبرز من هذه القبائل البربرية الفقيه عبد ا بن ياسين الجزولي. فكان شـديد الورع غزير العلم والغيرة على تعاليم دين الإسلام. فكان خطيباً موهوباً قوي التـأثير يجيد اللغة العربية والبربرية.

أخذ عبد ا بن ياسين على عاتقه نشر تعاليم الدين الإسـلامي بـين البربـر فأمرهم بالمعروف ونهاهم عن المنكر.

لكن البر بر لم يقبلوا نصائح بن ياسين فأعرضوا عنه، ولمـا رأى إعـراض البربر عنه قرر بمساعدة صديقه يحيى بن إبراهيم نبذهم والانقطاع عنهم واتجها إلـى العبادة والزهد في جزيرة نائية بنهر النيجر وانضم إليهما سبعة من رجال قبيلة "كداله" وبنو لهم مسجداً في الجزيرة.

توافد إليهم الكثير من أشراف "قبيلة صنهاجه" فأخذ عبد ا بـن ياسـين فـي تثقيفهم وتربيتهم أخلاقياً وسلوكياً ودينياًن وبدأ يعلمهم الكتاب والسنّة ويـربيهم علـى معاني الجهاد في سبيل ا . ولقد اتبع في ذلك سياسة تربوية شاملة قامت على:

- تربية إيمانية وأخلاقية وسلوكية.
- وتربية تحفيزية دعوية جهادية.

وسميت هذه الفرقة بفرقة المرابطين أي الملازمين للرباط الذي أقامه عبـد ا بن ياسين والذي كان يؤمن بضرورة إقامة دولة الإسلام بين قبائل البربر المختلفة.

بعد أن بلغ عدد المرابطين ألفاً دعاهم عبد ا بن ياسين إلـى الـذهاب إلـى أقوامهم وهدايتهم ليبتعدوا عن البدع والظلال. لكن القبائل رفضت، فلجأ إلـى الجهـاد وكانت معركة مع قبيلة كداله انتصر فيها عبد ا بن ياسين وأسلمت القبيلة، وبعد ذلك حارب قبيلة لمتونه فأسلمت.

وتوجه بعد ذلك عبد ا والمرابطين إلى غانا والسنغال ونشروا الإسلام فيهـا. وتوفي رحمه ا في معركة طاحنة مع قبائل برغواطه. وقبل أن يتوفى بدقائق جمـع المرابطين وحثّهم على الاتحاد والثبات ومواصلة الجهاد ونشر الدين.

وبذلك يكون هذا الفقيه المجاهد منشئ دولة المرابطين أعظم دولة في الإسلام، وأوصى للمرابطين بتأمير أبو بكر بن عمر اللتولي عليهم، ولقد سار على دربه يوسف ابن تاشفين،وظل مجاهداً في سبيل إعلاء كلمة ا وتخليص البربر من البدع والظلال.

ويعود الفضل إلى عبد ا بن ياسين الذي يعتبر القائد الروحي ليوسـف بـن تاشفين ومن أتى بعده.

أويس القرني
سيّد التابعين في الزهد

هو أويس بن عامر بن عمرو القرني اليمني، أما قصته مع عمر بن الخطـاب فما أجملها وأروعها.

لقد حجّ عمر بن الخطاب بالناس قبيل استشهاده بأيام وكان شغله الشاغل فـي حجّه البحث عن رجل من رعيته من التابعين يريد مقابلته.

صعد عمر جبل أبو قبيس وأطلّ على الحجيج ونادى بأعلى صوته: يـا أهـل الحجيج من أهل اليمن: أفيكم أويس بن مراد؟ فقام شيخ طويل اللحية من قرن فقال: يا أمير المؤمنين إنك أكثرت السؤال عن أويس هذا وما فينا أحد اسمه أويس إلا ابـن أخٍ لي يقال له أويس، فأنا عمّه وهو حقير بين أظهرنا خامل الذكر وأقلّ مالاً وأوهن مـن أن يرفع إليك ذكره.

فسكت عمر ثم قال: يا شيخ وأين ابن أخيك هذا الذي تزعم؟ أهو معنا بالحرم؟ قال الشيخ: نعم يا أمير المؤمنين هو معنا في الحرم غير أنه في أراك عرفة يرعى إبلاً لنا.

فركب عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب على حمارين وخرجا من مكـة مسرعين إلى عرفة، فوجدوا أويس ساجداً، وعندما انتهى أويس من صلاته تقدم إليهما، فقال عمر: مَن الرجل؟

قال أويس: راعي إبل وأجير للقوم.

قال عمر: ليس عن الرعاية أسألك ولا عن الإجارة، إنما أسألك عـن اسـمك، فمن أنت يرحمك ا ؟

فقال أويس: أنا عبد ا وابن أمته.

فقال عمر وعلي- رضي ا عنهما-: قد علمنا أن كل مـن فـي الـسموات والأرض عبيد وأنّا لنقسم عليك ألا أخبرتنا باسمك الذي سمّتك به أمك.

قال أويس: يا هذان ماذا تريدان إليّ؟ أنا أويس بن عبد .

فقال عمر: ا أكبر. يجب أن توضّح عن شقّك الأيسر.

قال أويس: وما حاجتكما إلى ذلك؟

فقال علي: إن رسول ا ﷺ وصفك لنا وقد وجدنا الصفة كما أخبرنا غير أنه علّمنا أنّ بشقّك الأيسر لمعة بيضاء كمقدار الدينار أو الدرهم ونحن نحبّ أن ننظر إلى ذلك.

فلما نظر علي وعمر –رضي ا عنهما- إلى اللمعة البيضاء ابتـدروا أيهمـا يقبل قبل صاحبه وقالا: يا أويس إن رسول ا ﷺ أمرنا أن نقرئك منه السلام وأمرنـا أن نسألك أن تستغفر لنا. فلقد خبرنا أنك سيد التابعين وأنك تشفع يوم القيامة في عـدد ربيعة .... فبكى أويس بكاءً شديداً ثم قال: عسى أين يكون ذلك غيري.

فقال علي: إنّا قد تيقّنا أنك هو لا شك في ذلك فادعُ ا لنا رحمك ا بـدعوة وأنت محسن.

فقال أويس: ما أخصّ باستغفار نفسي ولا أحد من ولد آدم ولكنـه فـي البـر والبحر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات في ظلام الليل وضياء النهار ولكـن من أنتما يرحمكما ا ؟

فقال علي: أمّا هذا فأمير المؤمنين عمر بن الخطاب، وأمّا أنا فعليّ بـن أبـي طالب.

فقال أويس: جزاكما ا عن هذه الأمة خيراً، ومثلي ليستغفر ا مثلكما.

فقالا: نعم.

فقال أويس: اللهم إن هذين يذكران أنهما يحبّاني فيك وقد رأوني فاغفر لهمـا وأدخلهما في شفاعة نبيّهما محمد ﷺ.

فقال عمر: مكانك رحمك ا حتى أدخل مكة فآتيك بنفقة من عطائي وفـضل كسوة من ثيابي.

فقال أويس: وما أصنع بالنفقة، وما أصنع بالكسوة، أما ترى علي إزاراً مـن صوف ورداً من صوف ومعي أربعة دراهم أخذتها من رعايتي حتى تراني أكلها.

فلما سمع عمر كلام أويس قال: ألا ليت عمر لم تلده أمه.

ا ا ، ما أجمل هذا الحديث، حديث تسيل له المآقي، ويقف الإنسان مـشدوهاً لروعة هؤلاء الرجال، فها هو عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب يطلبان من أويس أن يدعوا لهما، وها هو أويس الزاهد المتعبّد المنعزل عن الدنيا ومـا فيهـا يـرفض الكسوة والنفقة قائلاً لدي إزاراً من صوف، ثوب واحد من صوف وبضعة دراهم قليلة تكفيه، يا لهذا الزهد وهذه النفس الراضية المطمئنة، القانعة بالقليل، كل ذلك وأكثر في جعبة هذا الرجل الأسطورة.

سيد العباد، كما دعاه الإمام الشاطبي.

أويس بن القرني، هذا الرجل الزاهد، الذي لا يملك سـوى أربعـة دراهـم، يتصدق بكل ما في بيته من طعام وثياب، إذا أصبح أو أمسى، ثم يقول: اللهم من مات جزعاً فلا تؤاخذني به ومن مات عرياناً فلا تؤاخذني به.

وكان دائماً يقول: كن في أمر ا كأنك قتلت الناس كلهم.

ويقول أيضاً: أف لقلوب قد خالطها الشّك فما تنفعها العظة.

عطاء بن أبي رباح
مفتي مكة في عصر التابعين

هو كما يكون دائماً، غارق في ركوعه وسجوده، والناس وراءه جلوس، متفكراً في الكون، متأملاً في الملكوت.

شيخ حبشي أسود البشرة، مفلفل الشعر، أفطس الأنف، كأنما غراب أسود قابع في المكان، يتوافد عليه الأمراء، والناس كافة من كل بقاع الدنيا، يهتدون بهديه ويتعلمون منه، طمعاً في زاده.

فأي زاد أعدّ لهم؟ وما هي حلاوته ولذّته؟ إنها حلاوة بطعم مختلف، حلاوة الإيمان، وسكينة الرحمن، تحذو حذو هذا الرجل الجليل.

أي رجل هذا الذي ما أن نزل الخليفة الأموي سليمان بن عبد الملك خليفة المسلمين وأعظم ملوك الأرض وهو يسأل عنه.

في هذا المكان المقدّس حيث يستوي الغني والفقير، الحاكم والمحكوم الكلّ سواسية حُفاة عُراة.

إلى أين العزم يا خليفة المسلمين: إلى الرجل الغارق في الركوع والسجود.

إنه عطاء بن أبي رباح.

وما أن انتهى الشيخ الجليل من صلاته، حتى أقبل عليه الخليفة يسأله عن مناسك الحج، فيفض عليه الشيخ بالإجابة تفصيلاً وتدقيقاً، كيف لا وهو من قيل عنه:

يا معشر المسلمين لا يفتي الناس في هذا المقام إلا عطاء بن أبي رباح فإن لم يوجد فعبد ا بن أبي نجيح.

فلقد كان صاحبنا الشيخ صاحب الفتيا في المسجد الحرام فاهماً للقرآن الكريم فهماً عميقاً، وكان موسوعة في كل العلوم.

وكان يقول: يا بني تعلّم العلم، فالعلم يشرّف الوضيع، وينبّه الخامـل، ويعلـو الأرقاء على مراتب الملوك.

أما عطاء بن أبي رباح فلقد كان عبداً مملوكاً لامرأة من أهل مكة غير أن ا أكرمه بأن بصّره بالعلم، فقسم وقته ثلاثة: وقت للعمل فيخدم سيدته على أكمل وجـه. وقت للعلم ينهل من مناهل العلم والعلماء. ووقت للعبادة.

ولما رأت السيدة المكية أن غلامها قد باع نفسه تخلّت عن حقّها فيه وأعتقت رقبته تقرباً عزّ وجلّ.

فلقد قال رسول ا ﷺ: "من سلك طريقاً يطلب به علماً سهّل ا له طريقاً في الجنة".

فلنقتدي إخوتي بهذا الشيخ الجليل الذي أصبح المسجد الحرام فراشه وغطاءه. فكان له المسجد كالماء للسمك، والحرية للعصفور الآتي من القفص، فعلا إلى أعلـى المراتب بالعلم وسما إلى أعظم المنازل عند ا سبحانه وتعالى.

أبو مسلم الخولاني
سيد التابعين وزاهد العصر

هو عبد ا بن ثوب، قدم من اليمن وأسلم أيام النبي ﷺ فـدخل المدينـة فـي خلافة أبو بكر الصديق.

قالوا فيه:

عن علقة بن مرثد قال: انتهى الزهد إلى ثمانية من التابعين منهم أبـو مـسلم الخولاني، فلم يكن يجالس أحداً يتكلم في أمر من أمور الدنيا إلا تحول عنه.

هكذا يكون الزهد، الابتعاد عن الدنيا وملذاتها، فلم يكن يسمع شيئاً عن الـدنيا وما فيها، كل همّه الآخرة، فلقد أعدّ العدّة ومضى يحمل على عاتقه الأمر بـالمعروف والنهي عن المنكر.

وعن شرحبيل بن حسنة قال: أتى رجلين أبا مسلم الخولاني في منزلـه فقـال اجعله هو في المسجد، فذهبا إلى المسجد فوجداه يركع فـانتظر انـصرافه وأحـصيا ركوعه، فأحصى أحدهما أنه ركع ثلاثمائة والآخر أربعمائة.

فقالا له: يا أبا مسلم كنّا قاعدين خلفك ننتظرك.

فقال: أما إني لو علمت مكانكما لانصرفت إليكما وما كان لكما أن تحفظا عليّ صلاتي، فأقسم لكما أن كثرة السجود خير ليوم القيامة.

وعن عثمان بن عطاء عن أبيه قال: قالت امرأة أبو مسلم الخولاني يا أبا مسلم لا يوجد لدينا دقيق، فقال ما عندك شيء. قالت درهم واحد، فأخـذ الـدرهم وجـراب الدقيق ومضى إلى السوق. فأوقفه سائل قائلاً: يا أبا مسلم تصدّق عليّ، فهرب منه فأتى حانوتاً آخر فتبعه السائل فقال: يا أبا مسلم تصدّق عليّ، فهرب منه فأتى حانوتاً آخـر فتبعه السائل فقال تصدّق عليّ، فأعطاه أبا مسلم الدرهم، وذهب إلـى منجـرة فمـلأ الجراب نجارة وتراب، ثم أتى البيت ورمى الجراب وذهب.

وعاد ليلاً، فوضعت زوجته له الطعام فقال من أين لكم هذا؟!

قالت: يا أبا مسلم على الدقيق الذي جئت به فجعل يأكل ويبكي.

درك يا أبا مسلم ما أزهدك، وأنت القائل:

"أرأيتم نفساً إذا أكرمتها وودعتها ونعمتها ذمتني غداً عند ا ، وإن أنت أهنتها وأنصبتها وأعملتها مدحتني عند ا غداً".

قالوا: من تيك يا أبا مسلم؟

قال: وا هي نفسي.

عبد ا بن مبارك

العالم العابد المجاهد

هو عبد ا بن المبارك الحنظلي التميمي.

كان ابن المبارك من كبار الحفّاظ ومن العارفين بالحديث ومـن أكثـر أهـل عصره اجتهاداً في طلب العلم، فلقد رحل إلى اليمن ومصر والشام والبصرة والكوفـة طلباً للعلم.

وكان من أهل الورع والتقوى، يراعي الاعتدال في نقده بل لعله كـان أقـرب إلى التساهل (أي أنه ليس ممن يشددون في نقد رواة الحديث).

ولقد عقد ابن أبي حاتم في تقدمة "الجرح والتعديل" باباً أسماه: (باب ما ذكـر من معرفة ابن المعارك برواة الآثار وناقلة الأخبار وكلامه فيها).

كانت حياة ابن المبارك جهاداً في سبيل ا بنفسه وماله وعلمه، فكان يـرابط في الثغور، فيجمع عاماً ويغزو عاماً.

وما نزل ببلد في رحلته لطلب العلم ثم سمع منادي الجهاد إلا تجهّـز وخـرج للغزو. وكان يدعو للجهاد ويحثّ الناس على نصرة دين ا وجعل كلمة ا هي العليا كما كان ينعي على العلماء القاعدين عن الجهاد كسلهم وخمولهم وسوء فهمهم للعبـادة فكان يقول دائماً:

أيها الناسك الذي لبس الـصوف ... وأضـحى يُعـد فـي العبـاد
الـزم الثغـر والتعبـد فيـه ... لـيس بغـداد مـسكن الزهـاد
إن بغـداد للملـوك محـل ... منـاخ للقـارئ الـصياد

وأرسل الفضيل بن عياض بهذه الأبيات الشعرية:

يا عابد الحرمين لـو أبـصرتنا لعلمت أنك فـي العبـادة تلعـبُ
من كان يخضب خـدّه بدموعـه فنحورنـــا بـــدمائنا تتخـــضَب
لقــد أتانــا مــن مقــال نبينــا قول صــحيح صــادق لا يكــذب
لا يستوي وغبار خيـل ا فـي أنف امرئ ودخان نـار تلهـب
هــذا كتــاب ا ينطــق بيننــا ليس الـشهيد بميـت لا يكـذب

فلما قرأه الفضيل ذرفت عيناه وقال صدق وا صدق، وكان ابـن المبـارك فارساً شجاعاً ذا خبرة في فنون القتال والمبارزة.

ولقد قيل عنه "كان ابن المبارك يقضي جلّ وقته في الجهاد في سبيل ا ، فكان يقاتل ويبلي بلاءً حسناً، وإذا جاء وقت القسمة غاب فقيل له في ذلك فقـال: يعرفنـي الذي أقاتل له هكذا تكون النيّة في الجهاد، لأجل إعلاء كلمة ا وابتغـاء مرضـاته لا لمنصب أو جاه أو مال.

لقد كان للإمام عبد ا بن مبارك منهجاً واضحاً في التعلم والتعليم، يعتمد على الدقة ولم يكن لديه فوضى علمية.

فلقد قال: طلبت الأدب ثلاثين سنة وطلبت العلم عشرين سنة.

وقيل له: إلى كم تطلب العلم.

فقال: أرجو أن تروني منه إلى أن أموت.

أليس يقال لطالب العلم يستغفر له كل شيء حتى الحيتان في الماء.

وقال أيضاً: طلبنا العلم للدنيا فدلّنا على ترك الدنيا.

وقال أيضاً: إن أول العلم النية ثم الاستماع ثم الفهم ثم العمل ثـم الحفـظ ثـم النشر.

لقد أوجز الإمام ابن المبارك بهذه الكلمات الأسس والمبادئ الثابتة لمنهج التعلّم والتعليم.

رحم ا   الإمام ابن المبارك الذي أعطانا درر في فضل العلم.

فلقد قال: "من بخل بالعلم ابتلي بثلاث: إما موت يُذهب علمه، وإما يُنسى، وأما يلزم السلطان فيذهب".

رحمك ا ، فإننا أرى ذاتي في حضرة إمام، لن ننساه أبداً وسيبقى قدوة لنا في حياتنا، فاللهم هبنا من لدنك علماً لا يُنسى.

الفضيل بن عياض

الخشية من ا والبكاء يلازمانه

فالبكاء رفيقه ليل نهار، وُلد الفضيل بن عياض في خراسان ثـم رحـل إلـى الكوفة في العراق.

في بداية حياته كان عاصياً فتاب ا عليه وجعله من عباده المؤمنين تحوّل من قاطع طريق إلى عابد زاهد، فما هو سبب توبته.

كان يتسلق جدران أحد المنازل في الليل فسمع صوتاً يتلو قوله تعـالى: (﴿ أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ).

قال الفضيل: بلى يا رب.

فرجع فمرّ عرى أرض خربة فوجد بها قوماً قال بعضهم لنرحل.

فقال البعض: ننتظر حتى الصباح، فإن الفضيل يقطع علينا الطريق.

فقال الفضيل: يا إلهي أنا أسلى بالليل بالمعاصي والقوم من المسلمين يخافوني. اللهم إني تبت إليك وجعلت توبتي محاورة البيت الحرام.

ومن ذلك الوقت لا يُرى الفضيل إلا وعيناه تفيض من الدمع كلما ذكر اسم ا تعالى عنده ظهر عليه الخوف والوجل وارتعشت أعضاء جسده.

تعلّم الفضيل الأحاديث النبوية الشريفة والفقه من العلمـاء أمثـال الأعمـش، ويحيى بن سعيد الأنصاري، وجعفر الصادق، فتأثر بهم كثيراً حتى أصبح من الزهّـاد الذين يرون أن الدنيا لا تساوي عند ا جناح بعوضة، وكان إذا حضر جنـازة يظـل يبكي ولا ينقطع بكاؤه.

ومرّ الفضيل بن عياض على جماعة أغنياء فوجدهم يلعبون ويشربون ويلهون فقال لهم بصوت عالٍ: إن مفتاح الخير كله هو الزهد في الدنيا.

فقال له أحدهم: وما الزهد في الدنيا؟

قال الفضيل: القناعة والرضا هما الغنى الحقيقي. وليس الغنـى كثـرة المـال والعيال، إنما الغنى غنى النفس بالقناعة والرضا في الدنيا حتى تفوز في الآخرة توجّه إلى ا داعياً: اللهم زهدنا في الدنيا، فإنه صلاح قلوبنا وأعمالنا وجميع طلباتنا ونجاح حاجتنا.

حجّ هارون الرشيد ذات مرة فسأل أحد أصحابه أن يدله على رجـل صـالح يسأله، فدلّه على الفضيل فذهبا إليه.

فقال الفضيل للرشيد: إن عمر بن عبد العزيز عد الخلافة بلاءً، وعددتها أنـت وأصحابك نعمة.

فبكى الرشيد فقال له صاحب الرشيد يا فضيل ارفق بأمير المـؤمنين، فقـال الفضيل: تقتله أنت وأصحابك وأرفق به أنا.

فقال الرشيد: زدني يرحمك ا .

قال الفضيل: يا حسن الوجه أنت الذي يسألك ا عن هذا الخلق يوم القيامـة. فإن استطعت أن تقي هذا الوجه من النار فافعل وإياك أن تصبح وتمسي وفـي قلبـك غشّ لأحد من رعيتك.

لقد اعتبر الفضيل عدم النصح لأمير المؤمنين بمثابة قتل لـه مـن أصـحابه وبطانته.

وبقي الزاهد العابد الفضيل بن عياض في مكة حتى توفي هناك وأطلق عليه اسم شيخ الحرم المكي.

أحمد بن حنبل

إمام السنّـة

خرجت صفية بنت ميمون بنت عبد الملك الشيباني من مدينتها "مـرو" وهـي تحمل في بطنها جنيناً وما أن وصلت إلى بغداد واستقرّت فيها حتى وضعت حملهـا، فخرج إلى الدنيا أحمد بن حنبل سنة ١٦٤ هـ كان والده قائداً في جيش خراسان، لكن الأقدار شاءت أن يتوفى وأحمد لم يبلغ الثلاثة من العمر، فنشأ يتيماً كفلته أمه ورعته.

عاش فقيراً، فلي بيت صغير، مما دفعه إلى العمل صغيراً، ومضى يلتقط بقايا الزروع من الحقول، وينسج الثياب ويبيعها، ويحمل أمتعة الناس في الطرقات.

ولم يتوانى عن حفظ القرآن الكريم، ولما بلغ الرابعة عشر مـن العمـر درس اللغة العربية وتعلّم الكتابة، كان محباً للعلم، فتعلم الأحاديث النبوية الشريفة.

وانتقل في بلاد المسلمين من أجل العلم فزار الكوفة والبصرة ومكة والمدينـة والشام واليمن وبلاد فارس.

فكان يمشي في رجلاه حتى تتشقق قدماه. سأله أحد أصحابه ذات مـرّة: إلـى متى تستمر في طلب العلم؟ فقال: "مع المحبرة إلى المقبرة".

ولم يكن في عصره أحد أحفظ منه لحديث الرسول ﷺ حتى أطلقوا عليه اسـم (أمام السنّة وفقيه المحدثين).

وقالوا: إنه كان يحفظ ألف ألف حديث.

وأقبل الناس يجلسون مجلسه ويتعلمون منه أمور دينهم، وكان أغلى شيء عنده ما جمعه من أحاديث رسول ا لذلك كان يكتبه في أوراق ويحفظها في مكان أمـين. وحدث ذات يوم أن سرق لصّ منزله فأخذ كل ما يملك، فلما جاء الإمام أحمد لم يسأل عن شيء إلا عن الأوراق ولما وجدها اطمأن قلبه ولم يحزن على ما سُرق منه.

ولقد كان الإمام أحمد كثير العبادة والذكر ، ولقد تعـرّض للتعـذيب والأذى بسبب شجاعته في مواجهة الضيق والبدع.

فلقد سُجن في عهد الخليفة المعتصم وكان يُضرب بالسياط حتى أغمـي عليـه عدة مرات، وكان رحمه ا يميل إلى الفقراء ويقرّبهم منه، وكم كـان حليمـاً كثيـر التواضع، شديد الحياء، وسخيّاً وكان مع لينه شديد الغضب .

والإمام أحمد مؤسس المذهب الحنبلي وله كتب عديدة منها كتاب "المـسند" و "الزهد" و "الناسخ".

الشافعي

هو أبو عبد ا محمد بن إدريس الشافعي.

وُلد الشافعي سنة ١٥٠ هـ (وهي السنة التي توفي فيها أبو حنيفة) في غـزة في فلسطين، مات أبوه وهو صغير فحملته أمه ومضت إلى مكة، وهناك قرأ القـرآن، وأقبل على اللغة العربية، فحفظ الموطأ وهو ابن عشر، وأفتى وهو ابن خمس عـشرة سنة، أحبّ الشعر والأدب، وتعلّم الفقه.

وفي ذلك الزمان اشتهر اسم مالك بن أنس فأراد أن يراه، لذلك حفـظ كتابـه الموطأ في تسع ليالٍ.

سبحان ا يا شافعي ما أروعك، وما أعظم شأنك، تسع ليالٍ فقط تحفظ كتابـاً من أجل أن تلتقي بصاحبه، على ماذا يدل هذا الموقف العظيم؟ هل يدل على عظمـة صاحب الكتاب لدى الشافعي؟!

أم على إصرار الشافعي على التعلم والفهم والتدريب، مـن أجـل المناقـشة والحوار؟!

وما أن قدم إلى مالك بن أنس، أوصاه قائلاً: "يا محمد بـن إدريـس اتـق ا واجتنب المعاصر فإنه سيكون لك شأن".

فأعجب الشافعي بمالك ولازمه في مجلسه، فكأنما كان بالنسبة له كالنجم الذي ينشر الضوء والعلم في كل الأرجاء.

بعد وفاة مالك بن أنس عاد الشافعي إلى مكة.

ارتحل إلى بغداد ومصر طلباً للعلم.

وكان الشافعي يجلس في مجلسه، فيأتيه أهل القرآن صباحاً وبعد ذلك يتوافـد عليه أهل الحديث، ومن ثم أهل العربية والعروض والنحو والشعر، وأصـحاب الفقـه والموافقون والمخالفون لا يقومون من مجلسه إلا وهم منصتون له موافقون برأيه.

وله مصنّفات كثرة، منها كتاب الأم والرسالة في أصول الفقه ومسند الـشافعي وديوان شعر، وكتاب الجزية، وأحكام القرآن.

تتلمذ على يديه الكثير من العلماء في الحجاز والعراق ومصر. منهم أحمد بن حنبل ومحمد بن الحسن الزعفراني، ومحمد بن عبد ا بن عبد الحكم. كان الـشافعي مشهوراً بتواضعه وورعه وعبادته وسخائه وحيائه.

وُصف بأنه عالم العصر وناصر الحديث وفقيه الملة.

وقال أبو نعيم الأصبهاني يصفه: "الإمام الكامل العـالم العامـل ذو الـشرف المنيف والخلق الظريف له السخاء والكرم والضياء في الظلـم، أوضـح المـشكلات وأفصح عن المعضلات، المنتشر علمه شرقاً وغرباً المستفيض مذهبه براً وبحراً".

فكان بذلك إمام عصره وفريد دهره:

الـشافعي إمـام النـاس كلهـم ... في العلم والحلم والعلياء والبأس

له الإمامة فـي الـدنيا مـسلمة ... كما الخلافة فـي أولاد العبـاس

أصحابه خير أصـحاب ومذهبـه ... خير المذاهب عنـد ا والنـاس

رحم ا   الإمام الشافعي العالم السّخي بماله وعلمه على البشرية جمعاء.

عبد الرحمن الداخل

"صقر قريش"

هو عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك الملقّب بصقر قريش، جدّه الخليفة هشام بن عبد الملك عاشر الخلفاء الأمويين.

نشأ عبد الرحمن في بيت الخلافة الأموي، وكان ذكياً، وكان الفـاتح الكبيـر مسلمة بن عبد الملك عم أبيه يرى فيه موضعاً للنجابة والذكاء وأهلاً للولاية والحكـم، وأثّر هذا في نفس عبد الرحمن أثراً إيجابياً.

هرب العباسيين عند قيام دولتهم وفرّ إلى الأندلس وحين دخلهـا سـمّي عبـد الرحمن الداخل.

طلب عبد الرحمن مساعدة البربر في الأندلس، وكانوا في ذلك الوقـت علـى خلاف شديد مع يوسف بن عبد الرحمن الفهري، فلبّوا النداء.

وهزم جيش يوسف الفهري في موقعة .... في العاشـر مـن ذي الحجة سنة ١٣٨ هـ.

وبويع عبد الرحمن أميراً على الأندلس في مسجد قرطبة. ولم يكن قد تجـاوز السادسة والعشرين من العمر، وعرفت تلك الفترة بفترة الإمارة الأموية.

حاولت الخلافة العباسية أن تضمّ الأندلس إليها لكن عبد الرحمن الداخل وقـف لهم بالمرصاد وحاربهم حتى لقّبه العباسيون بصقر قريش.

ولقد كان أبو جعفر المنصور جالساً مع أصحابه فقال لهم أتدرون من هو صقر قريش؟ قالوا: بالتأكيد هو أنت.

قال: لا. هو عبد الرحمن بن معاوية دخل الأندلس منفرداً بنفسه مؤيداً برأيـه، مستصحباً لعزمه، يعبر القفر ويركب البحر حتى دخل بلداً أعجمياً فمـصّر الأمـصار وجنّد الأجناد وأقام ملكاً بعد انقطاعه بحسن تدبيره وشدة عزمه.

هكذا لخّص أبو جعفر المنصور الطريق إلى النجاح، العزم، حسن التدبير، الإرادة، الهدف الواضح، فلقد أنشأ عبد الرحمن الداخل جيشاً قوياً، ودوراً للأسلحة ومصانع للسيوف والمنجنيق، وأنشأ أسطولاً بحرياً بالإضافة إلى إنشاء موانئ طرطوشه وأشبيلية وألمرية.

أي عزيمة عزيمة كان يمتلك هذا القائد دخل الأندلس وحيداً، وأنشأ جيشاً قوامه مائة ألف فارسي من غير الرّجالة.

ولم يغفل العلم والعلماء بل اهتم بهم وأعطاهم التوقير والاحترام، واهتم بالجانب الحضاري فأنشأ القلاع والحصون والقناطر.

وأنشأ أول دار لسكّ النقود الإسلامية في الأندلس، وبالرغم من كل أفعاله كان كريماً متواضعاً يخالط العامة ويصلّي بالناس، يحضر الجنائز ويعود المرضى، وكان شاعراً بليغاً وعالماً بأحكام الشريعة الإسلامية.

ولقد كان منقوشاً على خاتمه: بقضاء ا راضٍ وبا يثق عبد الرحمن به يعتصم.

البهلول

أعقل المجانين

هو وهب بن عمرو، ولقد كان ذا مكانة علمية واجتماعية، يدخل على هـارون الرشيد، يدخل على هارون الرشيد بلا خوف أو وجل، وقت يشاء ويـتكلم بمـا يريـد (فالمؤمن يجاهد بسيفه ولسانه).

تظاهر بهلول بالجنون ليكون له ذريعة، فيهزأ ويطعن بالنظام الحـاكم بلـسان النكتة والمزاح، ولا يستطيع أحد أن يحاكمه، فيكف يحاكمون مجنوناً، ولكـن كلمـات بهلول كانت تقع كالسيف القاطع، والحجة الداعمة.

قصة من قصص بهلول:

بهلول ينصح الرشيد:

قال هارون الرشيد: كنت مشتاقاً إليك.

قال بهلول: لكني لم أسم إليك.

قال الرشيد: عظني يا بهلول.

قال بهلول: وبما أعظك؟

قال: كلماتك حسنة، فزودني منها.

قال بهلول: أيما رجل أتاه الله مالاً وجمالاً وسلطاناً فأنفق له ماله وعفّ جماله، وعدل في سلطانه كتب في خالص ديوان الله تعالى من الأبرار.

قال الرشيد: أحسنت وكيف أنت والجائزة؟

قال بهلول: أردد الجائزة على من أخذتها منه فلا حاجة لي فيها.

قال الرشيد: فإن يك عليك دَين قضينا.

قال بهلول: يا أمير المؤمنين هؤلاء العلم بالكوفة، أجمعت آرائهـم علـى أن قضاء الدّين بالدّين لا يجوز.

قال الرشيد: يا بهلول فنجري عليك بما يقوتك ويقيمك.

فرفع بهلول طرفه إلى السماء وقال: يا أمير أنا وأنت من عيال ا محـال أن يذكرك وينساني.

فأسبل هارون عينيه ومضى.

وأنشأ بهلول يقول: توكلت على ا وما أرجو سوى ا ، وما الرزق من الناس بل الرزق من ا .

درّك يا بهلول ما أعظمك، وأي قناعة تدثر في قلبك؟

يعطيك الرشيد فتأبى، يحاول أن يغدق عليك العطايا، ويسدّ دَينك فترفض بشدة. إيمانك الكبير با ، وقناعتك هما كنزك، هما زادك في هذه الدنيا الزائلة.

فلا شيء يبقى، إلا ا والعمل الصالح. أي بني قومي من رجل عفيف مؤمن، قانع، ليتنا نترك متاع الدنيا، ونقتدي بالصالحين القانعين أمثال بهلول.

زبيدة زوجة الرشيد

"أعظم نساء عصرها ديناً وأصلاً وجمالاً وصيانة ومعروفاً"

هي زبيدة بنت جعفر بن المنصور الهاشمية العباسية، زوجة هارون الرشيد وبنت عمه.

قال ابن بردي في وصفها: "أعظم نساء عصرها ديناً وأصلاً وجمالاً وصيانة ومعروفاً".

أجل، فهي سيدة جليلة سخية غمر العطف قلبها، وامتلأ عقلها بالأدب والرأي السديد والبلاغة، واعتلا لسانها جميل القول والفصاحة، فأصبحت بذلك امرأة ذات شخصية قوية، استطاعت أن تفعل الكثير، فلقد أسهمت في الحضارة العمرانية، وعين زبيدة في الحجاز دليل واضح على ذلك.

ولقد كانت شاعرة عظيمة ولقد رثت ابنها الأمين شعراً، وأظهرت بسالته وشجاعته وتغنّت وتباهت به بين الأمم.

ولقد اهتمت زبيدة بالعمران كثيراً، فأقامت المصانع والبرك والآبار والمنازل من بغداد إلى مكة.

ولقد كانت تقدّر العلماء والأدباء والأطباء، فلقد منحت الطبيب جبريل آنذاك راتباً شهرياً مقداره خمسون ألف درهم.

وكانت صاحبة الأيدي البيضاء بعطفها على الفقراء والمساكين، ولقد كان لها مئة جارية يحفظن القرآن، فعندما تصل إلى قصرها، تسمع دوياً كدوي النحل، وصوت عذب يردد القرآن، هي أصوات كثيرة، لكنها توحدّت على قراءة القرآن، فكأنما السماء قد أطرقت تسمع ذلك الصوت الموحّد الشجي الذي يلهب المشاعر والوجدان، فتقف إذلالاً وخشوعاً لقول الحق.

إن زبيدة لشخصية قوية وسيدة تملأ عطفاً وعفواً، وبالرغم من حبها العميـق لابنها الأمين لم ترد على من قتله بالمثل، بل سامحت المأمون واستقبلته قائلة: أهنيـك بخلافة قد هنأت نفسي بها عنك قبل أن أراك ولئن كنت قد فقدت ابناً خليفة لقد عوّضت ابناً خليفة لم ألده.

فقال المأمون: ما تلد النساء مثل هذه.

لقد كانت كلماتها البليغة تلك كالسيف سقطت على المأمون فتعجب من صبرها وقدرتها على التحمل، والعفو عند المقدرة.

هذه السيدة التي تغنّت بالأعمال الخيرية، وعملتها طاعة ورسوله وسـتبقى عين زبيدة وآثارها تاريخاً حافلاً يشهد لها عطفها على الحجاج والمـارين فـي تلـك الطريق.

فلقد حجّت ذات عام، وراعها ما رأته من مشقّة يتحملها الحجاج في إحـضار الماء، فقررت زبيدة وأمرت بحفر نهر جار بمـساقط المطـر، واشـترت المـزارع والبساتين المجاورة للطريق.

وتدفّقت المياه من الجبال، واستقرت في أقنية فرعية إلى أن وصلت إلى القنـاة الرئيسية، التي تسمى عين زبيدة ولا بد للصاعد إلى الطائف أو النازل منها أن يـشاهد في شقاق الجبال بقايا بناء قناة زبيدة الأسطورية.

الرجاء بن حيوة
"الحليم على الحلم طريقه وزاده"

هو رجاء بن حيوة بن جندل بن الأحنف بن السمط بن امرؤ القيس، ولد فـي مدينة بيسان، عاش في فلسطين وسكنها، وكان يصاحب الخلفاء لينصحهم فلمـا مـات عمر بن عبد العزيز أبى أن يصاحب أحداً من الخلفاء.

تعلّم على يد قلّة من الصحابة الأخيار وعلى يد أمهات المؤمنين. بلـغ مكانـة عالية في العلم حتى وصلت مكحول (أحد أئمة التابعين) إذا عاقته مسألة قال: اسـألوا شيخنا "رجاء بن حيوة". كان رجاء بن حيوة فقيهاً حليماً وعالماً ورعاً لا يولي أحداً إلا ا ورسوله، لا يهاب في الحق أحداً، فلقد كان كما قال عنه مكحول بحق رجاء سـيد أهل الشام في أنفسهم.

وقال فيه مطر الوراق: ما رأيت شامياً أفقه من رجاء بن حيوة.

وقال مسلمة الأمير: برجاء وبأمثاله ننتصر.

فلقد كان فاضلاً تقياً كثير العلم صارماً في نصائحه، فلقد أشار على سليمان بن عبد الملك بولاية عمر بن عبد العزيز.

ومن شدة تقواه وورعه أنه كان لا يفتي خوفاً من الفتوى، يقـول رجـاء بـن حيوة: الحلم أرفع من العقل لأن ا تسمّى به.

وقال: ما أكثر عبد ذكر الموت إلا ترك الحسد والفرح.

وقال: ما أحسن الإسلام بزينة الإيمان، وما أحسن الإيمان بزينة التقوى، ومـا أحسن التقى بزينة العلم، وما أحسن العلم بزينة الحلم، وما أحسن الحلم بزينة الرفق.

وبهذا يخص الإيمان الصادق ودلّ كلامه على قلب رحيم حليم عالم، مخلـصاً للدين، ناصحاً صادقاً، لا يتوانى في قول الحق.

فلقد كان يكره المعاتبة وقال فيها من عاتب أخوانه على كذب كثر عدوه.

رحم ا الشيخ الحليم وأسكنه فسيح جنانه وجعله قدوة لنا في رحمته وحلمـه اللذان استقاهما من ينبوع الإسلام الذي لا ينضب.

طارق بن زياد

فاتح الأندلس

وُلد طارق بن زياد عام ٥٠ هـ ٦٧٠ م بولاية تلمسان الجزائرية في فترة الخلافة الأموية، فتح عينيه على الحياة ليجد خيول المسلمين تتدرب وفرسانها يجاهدون في سبيل ا ، يضحّون بأموالهم وأنفهم لنصرة الإسلام، فوهب الطفل نفسه لخدمة الإسلام، وظل حلم كبير يراوده ألا وهو انتشار الإسلام في كل أرجاء الدنيا، وجاءت الفرصة سائرة إليه عندما أصبح شاباً فتياً، فلقد اختاره موسى بن نصير لقيادة جيشه، لما علم عنه من شجاعة ومهارة عالية وعزيمة. فرح طارق بن زياد فرحاً شديداً، ومضى في إرسال بعض الجواسيس لمعرفة أخبار الأندلس.

وانطلق طارق كالحصان الجامح، يقود جنوده ومساعديه، وكانت معركة وادي الرباط، انتصر فيها المسلمون وقتل ملك الأعداء "ردريك" "وفتحت نصف بلاد الأندلس".

سعد المسلمون بهذا النصر العظيم وتوافدوا إلى بلاد الأندلس، لكن النصر لم يرضي طارق ويشبع غروره، لقد أراد فتح البلاد جميعاً، ومضى يجوب المناطق لفتح جديد، والتقى مع قائده "موسى بن نصير" في مدينة طليطلة، وانطلقا إلى فتح جميع مدن الأندلس، حتى أمرهما خليفة المسلمين الوليد بن عبد الملك بالعودة إلى دمشق وذلك خوفاً من انتشار جيش المسلمين يف مناطق مجهولة وغير آمنة.

وهكذا دخل القائدان دمشق ونشوة النصر تكللهما. فكان طارق بن زياد قائداً عسكرياً شجاعاً، فتح الأندلس وقاد أول الجيوش الإسلامية التي دخلت شبه جزيرة ايبيريا. ويحمل اسمه جبل طارق بجنوب إسبانيا، وما زال التاريخ ينعته بأجمل العبرات وأروع الوقفات، وصوت خيوله ما زال عالقاً في السماء، تتناقله السدود والحدود، وتتخطى البحار والأنهار، فقائدنا البطل الشجاع، طارق لا يتراجع ولا يتردد، وهكذا نحن، لن نتراجع، ولن نتردد، بل سنمضي إلى فتح، وراء فتح،

وستصمت أصوات الأجراس، وترتفع أصوات المآذن عالياً، عالياً في السماء، ويـسود العدل والحق والنور في بلاد الظلم والطغيان.

رحم ا الأبطال الشجعان، أمثال طارق بن زياد وموسى بن نـصير، وكـل المسلمين.

"صلاح الدين الأيوبي"

قاهر الصليبيين وفاتح بيت المقدس

الناصر صلاح الدين: هو أبو المظفّر الأيوبي... يوسف بن أيوب بن شاذي بن مروان... وُلد صلاح الدين سنة ٥٣٢ هـ.

ولقد ظهرت علامات الذكاء... عليه... في الصغر... وتعلم صلاح الدين طرائق الخير وفعل المعروف والاجتهاد في أمور الجهاد...

قال ابن شداد في صلاح الدين: لم يزل صلاح الدين على قدم بسط العدل ونشر الإحسان وإفاضة الإنعام على الناس إلى سنة ٥٦٧ هـ فعند ذلك خرج بالجنود إلى بلاد الكرك والشوبك... لأنها كانت تمنع من .... الديار المصرية.

وفي سنة ٥٦٩ هـ علم صلاح الدين أن باليمن إنساناً استولى عليها وملك حصونها "سمى عبد النبي بن مهدي" فذهب أخاه توران فقتل ملك اليمن.

وفي سنة ٥٨٣ هـ كانت معركة حطين المباركة في يوم الجمعة ... ولقد كان صلاح الدين كثيراً ما يقصد لقاء العدو يوم الجمعة عند الصلاة تبرّكاً بدعاء المسلمين والخطباء على المنابر... وأحرز النظر العظيم... وجلس بعد النصر في خيمته... يشكر الله تعالى على ما أنعم به عليه من فضل. وبعد ذلك رحل صلاح الدين إلى عكا... وقاتل الصليبيين... وذهب إلى عسقلان والأماكن المحيطة بالقدس...

واجتمعت إليه العساكر التي كانت متفرقة في الساحل فسار صلاح الدين معتمداً على الله تعالى مفوضاً أمره إليه منتهزاً الفرصة في فتح باب الخير... فنصب المناجيق وضايق البلد بالزحف والقتال حتى طلب الصليبيون الأمان واستقرت الأمور بالمراسلة بين الطرفين وتسلّم صلاح الدين القدس المبارك في يوم الجمعة السابع والعشرين من رجب وليلته كانت ليلة المعراج.

وارتفعت الأصوات بالدعاء والتهليل والتكبير وأقامت صلاة الجماعة في القدس الشريف وخطب القاضي محي الدين محمد بن علي المعروف بابن الزكي.

موقف مؤثّر:

بينما كان صلاح الدين سائراً في طرقات بيت المقدس قابله شيخ مسيحي كبير السن يعلّق صليباً في رقبته فقال له: أيها القائد لقد كُتب اك النصر فلماذا لم تنتقم مـن أعدائك؟! فلقد قتلوا نساءكم وأطفالكم وشيوخكم في السابق.

فقال صلاح الدين: يمنعني من ذلك ديني الذي يأمرني بالرحمة. إن ديننا يأمرنا بالعفو والإحسان وأن نقابل السّيئة بالحسنة وأن نكون أوفياء بعهودنا.

فلما سمع الرجل كلمات صلاح الدين الأيوبي أضاء قلبه بالإيمان، فقال: وماذا يفعل من يريد الدخول في دينكم؟

قال صلاح الدين: يؤمن بأن ا واحد لا شريك له، وأن محمـد رسـول ا ، ويفعل ما أمر ا به، يبتعد عمّا نهى ا عنه، فنطق الرجل الشهادتان وأسلم معه كثير من أبناء قومه.

هذا موقف من مواقف صلاح الدين المؤثرة في الناس، فالرحمة التي امتلكهـا وعاشت في قلبه هبة ا إليه وإلى البشرية جمعاء، استطاع أن يقنع الرجل، فيدخل في الإسلام طوعاً لا كراهية.

رحم ا البطل المغوار، الرّحوم، الشجاع، صلاح الدين، اللهم بفضلك يا ا ، أخرج من أمتنا صلاح الدين، اللهم آمين. فليخرج منّا صلاح الدين، وليت شبابنا يقتدون به برحمتك يا أرحم الراحمين.

يوسف بن تاشفين

مؤسس دولة المرابطين

هو يوسف بن تاشفين بن إبراهيم الحميري أبو يعقوب أمير المسلمين ومؤسس الدولة المرابطية، وأول من دُعي بأمير المسلمين، باني مدينة مراكش.

وُلد بن تاشفين في صحراء المغرب، ولما بلغ مرحلة الشباب ولاّه عمّه أبو بكر بن عمر إمارة البربر، ورث يوسف بن تاشفين النتائج الإيجابية التي حققها قبله في المغرب عبد ا بن ياسين القائد الروحي للمرابطين.

واهتم بمراكش واتسع العمران فيها وأصبحت عاصمة لدولة كبيرة، وبدأ بمحاربة ما تبقى ثم بقايا المغراويين الذين كانوا يسودون من قبل تلك المنطقة. ولقد أظهر يوسف في حربه تلك في القضاء على كل الفرق الضالة وخاصة الفرقة البرغواطية في معالمها وأرسى قواعد الإسلام الصحيحة ونشر الإسلام السنّي الصحيح في المغرب الأقصى.

دخل يوسف بن تاشفين مدينة فاس، فعمل على إصلاحات مهمة وجعلها مدينة واحدة بعد أن كانت مدينتين، وأدار عليها سواراً حضياً، وأكثر فيها من بناء المساجد ودخل في طاعته شيوخ القبائل في ناحية تلمسان وتمكّن من الاستيلاء على سبتة وطنجة.

اعتمد يوسف بن تاشفين في تنظيم دولته الواسعة على التنظيم القبلي واعتمد في إقرار الأمن وجباية الأموال على القبائل الصهناجية السائدة في تلك النواحي. وأرسل لها القضاة وكان يرسل إلى منازل القبائل الشيوخ والفقهاء لتحفيظهم القرآن واللغة العربية، فانظمّت إلى حكومته لمطة وجزولة وتارجا وبعض القبائل الأقل أهمية.

فكانت هذه الروح الجهادية العصب الحقيقي الذي استحدث منه الدولة المرابطية قوتها. وحقق يوسف بن تاشفين انتصاراً عظيماً في معركة الزلاقة، فبايعه

ملوك الأندلس وأمرائها بعد ذلك وسمّوه أميراً للمسلمين، وأراد بعض شيوخ المرابطين أن يعطوه لقب الخليفة فأبى واكتفى بلقب أمير المسلمين.

تمكّن يوسف بن تاشفين الاستيلاء على عدة مدن أبرزهـا غرناطـة ومالقـة، وتمكن من الاستيلاء على أسبانيا، واجتاز البحر إلى الأندلس للمرة الثالثة سنة ١١٠٣ م ودعا في قرطبة القادة وزعماء القبائل المغربية إلى اجتماع أعلن فيه تولية العهد إلى ابنه علي في الأندلس وعاد إلى قصره في مراكش حتى أصابه المرض وتوفي هناك.

لقد كان ابن تاشفين كثير العفو، قريباً من العلماء، وكان إذا وعظه أحدهم خشع عند استماع الموعظة ولان قلبه لها وظهر ذلك عليه.

لقد توفي ابن تاشفين وعمره مائة عام قضاها في ترسيخ مبادئ الإسـلام فـي المغرب ثم الأندلس. وله يرجع الفضل في إنقاذ الإسلام في الأندلس مما كان يهدده من أخطار خلال النصف الثاني من القرن الخامس الهجري.

ولقد قال عنه أحد المستشرقين (يوسف أحد أولئك الرجال الأفذاذ الذين يلوح أن القدر قد اصطفاهم لتغيير وجهة سير الحوادث في التاريخ، فقد بثّ بما اسـتحدث مـن نظم وأساليب روحاً قوية في القبائل والشعوب التي يحكمها، وقد فاضت هـذه الـروح إلى تحقيق العجائب.

رحم ا يوسف بن تاشفين رحمة واسعة.

محمد الفاتح

فاتح القسطنطينية

وُلد محمد الثاني بن مراد الثاني سنة ٨٣٣ هـ - ١٤٢٩ م.



وتولى الحكم وهو شاب لم يتجاوز عمره اثنتين وعشرين عاماً، واشتهر بلقب محمد الفاتح لفتحه القسطنطينية.

ورث محمد الفاتح دولة قوية واسعة، لكن طموحه الكبير جعله لا يكتفي بأمجاد السابقين، فصمّم على أن يصنع أمجاداً جديدة بيده، فتح القسطنطينية حلم راوده وسعى إلى تحقيقه، أجل القسطنطينية عاصمة الدولة الرومانية الشرقية.

لم يكن محمد الفاتح قائداً عادياً بل كان عبقرية فذّة، وقائد عسكري مغوار جمع بين صفات القائد العسكري الشجاع والثقافة العلمية العالية، وكان كريماً عادلاً، وامتلك الفضل والعلم وسعة المال وكثرة الجيوش، كل ذلك أعطاه الإصرار في تحقيق حلمه الذي ظلّ يرافقه.

فجمع جنوده وقال لهم: "إذا تم لنا فتح القسطنطينية تحقق فينا حديث رسول ا ﷺ ومعجزة من معجزاته، وسيكون من حظّنا ما أشاد به هذا الحديث من التقدير، فأبلغوا أبناءنا العساكر فرداً فرداً أن الظفر العظيم الذي سنحرزه سيزيد الإسلام قدراً وشرفاً ويجب على كل جندي أن يجعل تعاليم ديننا الحنيف نصب عينيه، فلا يصدر عن واحد منهم ما ينافي هذه التعاليم وليتجنبوا الكنائس والمعابد ولا يمسّوها بسوء، وليدعوا القساوسة والضعفاء الذين لا يقاتلون".

وبعد ذلك أمر محمد الفاتح جنوده بالصيام قبل الهجوم بيوم لتطهير نفوسهم وتزكيتها، وفي تلك الليلة تعالت أصوات التكبير والتهليل، ورتّلت آيات الجهاد على

مسامع الجند، ودوّت الأناشيد الإسلامية الحماسية ودخل الجنود المدينة وتم الفتح العظيم.

وأصبحت القسطنطينية بعد ذلك قاعدة للأعمال العسكرية في الشرق والغرب وامتد النفوذ الإسلامي إلى شواطئ البحر الأسود الشمالي وإلى المجر واليونان وإلى شرقي البحر المتوسط.

وهكذا وبعد ثلاثين عاماً من الحروب المتواصلة للفتح فاجأ الموت السلطان محمد الفاتح عام ١٤٨١م في معسكره بين جنوده إذ كان قد أعدّ إعداداً قوياً لحملة لا أحد يعرف اتجاهها، أجل لقد كان محمد الفاتح شديد الحرص على عدم كشف مخططاته العسكرية حتى لأقرب وأعزّ قواده.

فلقد قال ذات مرة: "لو عرفت شعرة من لحيتي خططي العسكرية لقلعتها".

سريته العسكرية التامة، وإيمانه الصادق، وإصراره وشجاعته معاً كان سرّ نجاحه في حملاته وفتوحاته.

السلطان بايزيد الأول

صاعقة الإسلام



كان السلطان العثماني بايزيد من أفضل ملوك الأرض... وأكثرهم غزواً في بلاد الكفار... على الأمن في عهده ... حتى أنه يقال: كان يمر الرجل بحمولته فيطرحها أرضاً فلا يتعرض لها أحد!!. ...

لم يكن السلطان بايزيد الأول يحب الألقاب... فلم يكن يلقّب بلقب ولا أحد من آبائه أو ذريته... إنما دُعي بالأمير تارةً و "خوند خان" تارة كان محباً للعلم والعلماء... كريماً مع أهل القرآن... عادلاً... لا يحب الظلم والظلاّم... فكان يجلس صباحاً في مكان متسع... ويقف الناس على مقربة منه فمن كان له مظلمةً رفعها إليه فأزالها في الحال.

قصة طريفة غريبة:

المكان في ساحة محكمة ما.. في عهد السلطان بايزيد الأول.. تم استدعاء السلطان بايزيد الأول للإدلاء بشهادة في أمر ما... ها هو السلطان يقف أمام القاضي الإمام "شمس الدين فناري"... في تواضع واضح، نظر القاضي في السلطان فقال: "هذا الرجل لا تقبل شهادته".

دوى صمت في المكان.. الجميع ينظرون إلى السلطان... ماذا سيفعل؟!

لم يفعل السلطان شيئاً بل ظل صامتاً ينتظر كلمات القاضي الإمام... قال القاضي الإمام: "لأن السلطان لا يحضر صلاة الجماعة مع المسلمين في المسجد ومن

لا يصلي في جماعة دون عذر شرعي ممكن له أن يكذب في شهادته"، يا إلهي... مـا هذا الكلمات... وماذا فعل السلطان...

لقد أومأ السلطان رأسه في تواضع شديد ثم خرج... وبعد ذلك أمر ببناء مسجد ملاصق لقصره كي يحضر مع المسلمين صلاة الجماعة... أي سـلطان هـذا... أي عظمة ورحمة... واحترام... هذا السلطان الذي... دوى صيته بـين البـشر... هـذا السلطان الذي استطاع أن يوحّد الأناضول بسرعة ومهـارة حربيـة محببـة أذهلـت المسيحيين في أوروبا...

هذا السلطان الذي فتح بلغاريا والبوسنة والأفلاق... وقاتل الصرب وانتـصر عليهم... إنه قائد "معركة نيكوبولس" التي كانت بالنسبة للمسيحيين أعظم كارثـة فـي العصور الوسطى ... وفي قمة الفرح والانتصار أعلن السلطان بعد "معركة نيكوبولس" أنه سيفتح إيطاليا بإذن ا وسيطعم حصانه الشعير على مذبح كنسية القديس بطـرس في روما...

لكن حصل أمر لم يكن بالحسبان... فلقد ظهـر تيمورلنـك... رجـل قاسـي القلب... خبيث... "يدّعي الإسلام". ففرح ملوك أوروبا بهذا الرجل الذي وجـدوا فيـه خلاصهم من السلطان بايزيد الأول. فاحتموا به... وقرروا محاربة الـسلطان بايزيـد الأول... والاستيلاء على البلاد العثمانية...

وحصلت معركة "أنقرة" فوقـع الـسلطان بايزيـد الأول فـي الأسـر عنـد تيمورلنك... واستباح تيمورلنك أملاك الدولة العثمانية لجنوده فخربوها وهدموا أكثـر منشآتها... ومات السلطان بعد\ ثمانية شهور كمداً وغضباً في أسره... وبهـذا سـقط السلطان المجاهد العظيم الصاعقة... الذي لم يركن إلى الراحة يوماً بل ظل مجاهـداً أكثر من ١٤ عاماً...

شيخ الإسلام ابن تيمية

العالم المجاهد

من منّا لا يعرف شيخ الإسلام ابن تيمية؟ هذا الشيخ الجليل، الورع، التّقي، القوي بربّه، العزيز بدينه.

من منّا لم يقرأ عنه أو يسمع عن علمه الزاخر؟

لقد عرفناه عالماً بأصول الدين، ذو حجّة دافعة. ولكن هل سمعنا عن بطولاته وقدرته على التأثير على المسلمين والسلاطين؟

في شهر رجب من سنة ٧٠٢ هـ عزم التتار على دخول بلاد الشام، فانزعج الناس واشتد خوفهم، وشرع الناس في الهرب إلى الديار المصرية والكرك، وبعد ذلك وصل التتار إلى حمص وبعلبك وعاثوا في البلاد فساداً، فقلق الناس قلقاً عظيماً لتأخر قدوم العساكر المصرية لنجدتهم.

وبدأت الإشاعات تحوم "لا طاقة للمسلمين بلقاء التتار" فكان لتأثير العلماء ولا سيما شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه ا أشدّ تأثير، فجاس رحمه ا يشجع الناس على القتال، وعمل على إلهاب عواطف الأمة وإذكاء حماستها، وتهيئة المسلمين لخوض المعركة.

وكان يقول: "إنكم في هذه المرّة منصورون فيقول الأمراء إن شاء ا ، فيقول: إن شاء ا تحقيقاً لا تعليقاً، وكان يحثّ السلطان الناصر محمد بن قلاوون على القتال، ويبشّر الجميع بالنصر إن شاء ا .

حتى ظفر المسلمون بالنصر فدخل جيش الإسلام المنصور إلى دمشق وابن تيمية عالية كلمته في السماء، مجابة دعواته مكرّماً معظّماً وهو يقول للمداحّين: "أنا رجل ملة لا رجل دولة".

علمٌ وبطولات من شجاعة، وقدرة على التأثير، وتواضع كبير، كل هذه الخصال كانت تتربع على عرش قلب شيخ الإسلام ابن تيمية.

القائد سيف الدين قطز

بطل عين جالوت

هو سيف الدين قطز، وكان عبداً لرجل يدعى ابن الزعيم بدمشق، ثم بيع من شخص إلى آخر إلى أن وصل إلى عزّ الدين أيبك من أمراء مماليك البيت الأيوبي بمصر، يوصف قطز بالشجاعة والجرأة والمواظبة على الصلاة والصيام وتلاوة الأذكار، فكان تقيّا مترفعاً عن الصغائر.

أما اسم قطز فقد أسماه التتار حين قاومهم بشراسة خلال اختطافهم وبيعهم له ومعنى قطز بلغتهم (الكلب الشرس).

هو كلب شرس بنظرهم لكنه فارس مقدام، مغوار في ساحة الوغى، وباستطاعته اتخاذ القرار الحكيم في الوقت المناسب.

فعندما توفي الملك عزّ الدين أيبك وزوجته شجرة الدّر صعد إلى كرسي الحكم- الطفل نور الدين علي بن عزّ الدين أيبك. فتولى قطز الوصاية على السلطان الصغير، فحصلت الثورات والفتن الداخلية، فما كان من قطز إلا أن أخمدها.

ولما رأى اهتمام السلطان الصغير بمناقرة الديوك ومناطحة الكباش وتربية الحمام، اتخذ قطز القرار الجريء، فعزل السلطان الطفل واعتلا الحكم بنفسه.

وهكذا استطاع قطز بحكمته حماية عرش مصر، وليس ذلك فحسب، بل قطع أطماع المماليك في الحكم، ووحدهم خلف هدف واحد. هدف واحد يسعون خلفه ولا بد من تحقيقه ألا وهو وقف زحف التتار ومواجهتهم.

أما مواقفه في معركة جالوت فحدث ولا حرج. فلقد وقف خطيباً في الناس وهو يبكي فقال: "يا أمراء المسلمين من للإسلام إن لم نكن نحن".

وفي أرض المعركة وعندما شاهد قطز قوة التتار نزل إلى ساحة القتال وذلك لتثبيت الجنود ورفع روحهم المعنوية، وألقى بخوذته على الأرض تعبيراً عن اشتياقه للشهادة، وأطلق صيحته الشهيرة وإسلاماه.

وقتل فرس قطز وكاد يتعرض للقتل لولا أن أسعفه أحد فرسانه فنزل على فرسه ومضى إلى قيادة رجاله دونما خوف. وبحيلة ذكية أخفى بعض قواته بين التلال، وأمر جنوده بإشعال النار في مزرعة قريبة من المعركة فاحترق فيها التتار وهكذا انتصر قطز وجنوده لكن القائد المغوار لم يقتل في المعركة بل قتل على يد أحد الأمراء المماليك الذين تآمروا عليه حسداً وحقداً على ما أكرمه ا به من نصر، وحزن الناس عليه حزناً شديداً.

ولقد ظلّت آثاره خالدة، ودنياره يشهد له بذلك، فلقد صكّ ديناراً في عهده اسمه دينار قطز، من الذهب الخالص، عليه كتابة على كل من الوجه والظهر تحمل اسم السلطان المظفّر سيف الدنيا والدين قطز.

العزّ بن عبد السلام الفقيه

سلطان العلماء

العزّ بن عبد السلام الفقيه الدمشقي ولد في بلدة كفر الماء في محافظة إربد شمال الأردن، وكانت في ما سبق من أعمال دمشق *(هذه القرية الصغيرة تبعد عن مدينة اربد التي يسكنها المؤلفان بضعة كيلومترات).*

رحل بعد ذلك إلى دمشق وتلقى تعليمه فيها، وبرز في الدعوة الفقه والقد وصفه أبو محمد عز الدين السُلمي قائلاً: "كان جليلاً مقبول الصورة وكان ذو شخصية قوية وكان في مظهره من الملبس وغيره متواضعاً وكان لا يتأنق ليزيف عن نفسه ولا ليكذب في الحشمة ولا يستأنف الوقار استألاماً ولم يكن يتقيد بلبس العمامة والتي كانت عادة العلماء والفقهاء في عصره وقد يلبس قبعة اللباد (طاقية من الصوف).

عاش العزّ بن عبد السلام في كنف أسرة فقيرة متدنية، وابتدأ العلم في سن متأخرة، قصد العزّ مجالس العلماء، وأخذ ينهل من علومهم وانكبّ على الفهم والاستيعاب، فاجتاز العلوم بمدة يسيرة.

تأثر العزّ بأخلاق العلماء وسلوكهم الرفيع في الحياة، فجمع بذلك بين العلم والأخلاق والسلوك والعمل، حتى أصبح أعلم أهل زمانه وأعبد خلق الله كما قال عنه السبكي.

جمع العزّ في تحصيله بين العلوم الشرعية والعلوم العربية فدرس التفسير وعلوم القرآن والفقه وأصوله. والحديث وعلومه واللغة والتصوف والنحو والبلاغة. وارتحل من دمشق إلى بغداد للازدياد من العلم.

ترك الشيخ الجليل تراثاً علمياً ضخماً في علوم التفسير والحديث والسيرة والعقيدة والفقه وأصول الفقه والزهد. وحارب البدعة وأحيا السنّة، تولى خطابه الجامع الأموي الكبير بدمشق في عهد الملك الصالح إسماعيل من بني أيوب.

وبعد فترة قام الملك الصالح إسماعيل بقتال ابن أخيه الصالح نجم الدين أيـوب حاكم مصر وأراد انتزاع السلطة من يده فوالى الصليبيين وسمح لهم بـدخول دمـشق لشراء السلاح والطعام،فغضب العزّ وصعد المنبر وخطب في الناس وأفتى بحرمة بيع السلاح للفرنجة وحرمة الصلح معهم وترك الخطبة ومضى!!. كان ذلك بمثابة إعـلان العصيان العام للملك الصالح إسماعيل، غضب الصالح إسماعيل وأمر بسجن العزّ بـن عبد السلام.

وبعد فترة وجيزة اضطرب أمر الناس فأخرجه الصالح من السجن ومنعه مـن الخطبة.

انتقل العزّ بعد ذلك إلى مصر، رحّب به الملك الـصالح نجـم الـدين فـولاّه الخطابة والقضاء.

لاحظ العزّ قيام الأمراء المماليك بالبيع والشراء وقـبض الأثمـان وهـو مـا يتعارض مع الشرع. إذ أنهم في الأصل مملوكين ولا يحق لهم البيع والشراء والزواج من حرائر نساء مصر.

فأفتى العزّ بن عبد السلام بحرمة ذلك.

غضب الملك الصالح من فتوى الشيخ، فطلب من الشيخ الجليل ألا يتدخل فـي القضاء، ويعدل في فتواه.

فرفض العزّ بن عبد السلام، فاستشاط الأمراء غضباً، وأقسم نائـب الـسلطنة ليقتلن الشيخ بسيفه.

فذهب نائب السلطنة مع جماعة من الأمراء إلى بيته فطرق الباب، ففتح الباب ابن العزّ بن عبد السلام فراعه منظر نائب السلطنة إذ رأى سيفه مسلولاً والغضب يعلو وجهها، فدخل على والده وقال: أنجُ بنفسك إنه القتل. فردّ عليه الشيخ بقوله: أبوك أقل من أن يقتل في سبيل ا . ثم خرج وحين وقع بصره على النائب سقط السيف من يـد

النائب وارتعد فبكى وسأل الشيخ أن يدعو له وقال يا سيدي: ماذا ستفعل؟ قال: أنـادي عليكم وأبيعكم.

إلا أن السلطان لم يذعن لحكم الشيخ فأرسل إليه من يتلطف إليه فقال له: أمـر السلطان واجب وليس لك أن تتدخل في أمور الدولة وشؤون الأمراء لا تتعلق بـه بـل بالسلطان وحده.

فأنكر الشيخ تدخل السلطان في القضاء فقام فجمع أمتعته ووضعها على حمار ووضع أهله على حمير أخرى وساق الحمير ماشياً فقيل له: إلى أين يا شيخ؟ قال: ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها؟ فيم المقام بأرض يستضعف فيها أهل الـشريعة ويُعتدى فيها على القضاء.

فتبعه العلماء والتجار والنساء والصبيان حتى كـادت مـصر أن تخلـو مـن سكانها، فخرج الملك الصالح مسرعاً ولحق بالعزّ وطلب منه أن يعود وينفذ حكـم الله، فتمّ له ذلك واشتهر العزّ بعدها بأنه بائع الملوك.

وقاد العزّ بن عبد السلام جموع المعارضة ضد شجرة الدر مـستنكراً حكـم سيده، تتحكم في رقاب الأمراء والسادة، مما اضطر شجرة الدر بالتنحي عن الحكم بعد ٨٠ يوماً قضتها في الحكم.

وهكذا توفي العزّ بن عبد السلام بعد كفاح متواصل وتواضع جمّ ونفس مترفعة عن حطام الدنيا فنال ثوابيّ الدنيا والآخرة، ومرت جنازته تحت القلعة بالقاهر.

وشاهد الملك الظاهر بيبرس كثرة الخلق الذين كانوا في الجنازة فقـال: اليـوم استقر أمري في الملك لأن هذا الشيخ لو كان يقول للناس اخرجوا عليه لانتزع الملـك مني.

سبحان الله، ورحم الله العالم الجليل الورع التقي الذي أثر بعلمه وتقـواه فـي الناس أجمعين، إنها قوة التأثير، وهبه الله إياه بعلمه وأخلاقه.

فلقد كانت حياته خالصة ، مجاهداً في الكلمة، لا يهاب في ا لومة لائم، فلقد قضى فعدل، وافتى ولم يتوانى في الحق يوماً.

المنصور بن أبي عامر
أسطورة لن تتكرر

هو محمد بن عبد ا بن عامر بن عبد الملك المعافري القحطاني، من أصول يمنية. جدّه الأكبر عبد الملك المعافري، كان أحد قادة الجند مع طارق بن زياد أثناء فتح الأندلس الأول، وكان أبوه من أهل العلم وأمه بريهة بنت يحيى بن زكريا التميمي من بني تميم.

نشأ محمد بن أبي عامر على القرآن والفقه وأظهر ذكاء لا يوصف وكان يتملك قوة الإرادة، قوي العزم، متعدد المواهب، سخيّ اليد كريم النفس وأبرز ما يميّزه، حتى صار قدوة عظيمة هو همّته العالية التي تناطح السحاب وتملأ الأرض طموحاً وعزماً.

أول ما قام به المنصور وهو شاب صغير أن افتتح مكتباً لكتابة الشكاوى المرفوعة للخليفة الأموي وذلك ليكمل تعليمه بقرطبة.

هذا العمل الصغير مكّنه من الاتصال المباشر بأهل القصر من الخدم والحرّاس، الذين نقلوا أخباره إلى سادة القصر وخاصة السيدة صبح أم ولي العهد (هشام المؤيد). عمل المنصور في عدة وظائف كتابية ثم عمل في إدارة الخزانة العامة ودار المواريث وتقلّد الكثير من المناصب العامة في الدولة، وكان عمره وقتها لم يتجاوز السابعة والعشرين فلقّب "بفتى الدولة".

وبعد ذلك استطاع المنصور أن يقضي على مؤامرة دُبرّت من بعض الصقالبة الموالي بالتعاون مع بعض الأمويين. وكان هدف المؤامرة قتل الخليفة الجديد (هشام المؤيد) وتعيين عمّه المغيرة، فحفظ بذلك دولة الخلافة من السقوط في دائرة الصراعات الداخلية.

بعد هذه الحادثة قام الخليفة هشام المؤيد بتعيين المنصور وزيراً للدولة الأندلسية، في تلك الفترة اتضحت للمنصور أموراً كثيرة، منها ضعف شخصية الخليفة هشام المؤيد، مدى الأخطار المحدقة بالمسلمين، ظهور بوادر للانقسامات الداخلية في الدولة، فساد بعض رجال الحكم أمثال جعفر المصحفي وولده محمد الذي كان يتولى رئاسة الشرطة، انتشار الفساد، كل ذلك دفع المنصور إلى التفكير العميق في وضع الدولة الإسلامية فقرر حجز الخليفة (هشام المؤيد) في قصره وتولى هو تدبير الأمور.

وبعد ذلك عزل جعفر المصحفي وولده وسحق نفوذ الصقالبة، وأطلق شرارة الحملات الجهادية على الصليبيين في أسبانيا.

وتقاطر المجاهدون المتطوعين على الأندلس من كل نحوٍ وصوب، ومن أشهر المعارك التي خاضها المنصور ضد الصليبيين: معركة شنت منكس سنة ٣٧١ هـ، وكان قائد الجيش الأسباني الأمير راميرو الثالث وانتصر المسلمون في هذه المعركة.

معركة برشلونة سنة ٣٧٥ هـ، وفيها أُسر أمير برشلونة ودمّر المنصور قوّته تماماً.

معركة جليقية في أقصى غرب أسبانيا، حصلت سنة ٣٨٧ هـ، وانتصر المنصور وجيشه على الصليبيين.

معركة صخره جربيرة سنة ٣٩٠ هـ، وانتصر المنصور وجيشه على الصليبيين وواصل سيره حتى فتح مدينة برغش عاصمة قشتاله.

كل هذا وأكثر، بل بقي المنصور طيلة حياته مجاهداً في سبيل ا ، ولا بد للمجاهد أن يموت مجاهداً، فهذا الشرف الذي يحيا من أجله ويتمنّاه، ولقد استجاب ا لدعوات المنصور، فلقد وافته المنيّة سنة ٣٩٢ هـ، بمدينة "سالم" وهو مجاهداً حاملاً أكفانه التي غزلتها له بناته، التي طالما حملها في كل غزواته، رحم ا البطل العظيم.

أحمد بن نصر الخزاعي

رجل قام إلى سلطان ظالم

هو أحمد بن نصر بن عمر الخزاعي، وكانت سويقه نصر ببغداد منسوبة إلى أبيه نصر.

كان أحمد من أهل العلم والدين فكان مشهوراً بالخير يأمر بالمعروف وينهـى عن المنكر، ولم يتوانى في قول الحق يوماً.

ولقد بايعه الناس سراً على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أيـام خلافـة المأمون، فلما عاد المأمون إلى بغداد لزم أحمد بيته.

وفي أواخر عهد الواثق انتهى الأمر بإسكان من يتكلمون حقاً، وبإخماد الشعلة التي لا بد أن تثور يوماً على الظلم والظالمين.

ولقد قال عبد العزيز بن يحيى المكي: "ما رئي أعجب من أمر الواثـق، قتـل أحمد بن نصر وكان لسانه يقرأ القرآن إلى أن دفن".

أما رواية قتله فهي:

جلس الواثق وقال لأحمد بن نصر: "دع منك ما أخذت وقل ماذا تقـول فـي القرآن".

قال: كلام ا .

قال: أمخلوق هو؟!

قال: كلام ا

وهذه الفتنة هي التي أطاحت برأس أحمد بن نصر ومـات ظلمـاً، ويقـال أن رأسه ظلّ منصوباً ببغداد وجسده مصلوباً بـ (سرُ من رأى) أكثر من ست سنوات.

رحم ا الشهيد أحمد بن نصر الذي قضى في سبيل الحق وإبطال الفتن والبدع وأسكنه فسيح جناته. وإن شاء ا هو مع الأنبياء والصديقين في علّيين، وأسـقط ا الظلام والحاقدين في الدرك الأسفل من النار.

وسيبقى الشهيد الجليل نموذجاً مشرقاً، وقدوة لنا، لنستضيء بنـ وره الوضّـ اء ونهتدي بهديه.

قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَمَ " : سَيدُ الشهَدَاءِ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطلِبِ ، وَرَجُلٌ قَامَ إِلى إِمَامٍ جَائِرٍ فَأَمَرَهُ وَنَهَاهُ فَقَتَلَهُ"

أسد بن الفرات

أسدٌ في المعارك، وأسدٌ في العلم

هو أسدٌ في المعارك، وأسدٌ في العلم يقاتل في سبيل ا   علـى جبهتـين، فـي ساحة القتال وفي ساحات العلم المتعددة، هو رجل والرجال قليل، مرابط فـي سـبيل إعلاء كلمة ا   في الأرض والسماء، لا يبعده عن الحق خوف، أو ارتعاشة جسد.

شيخٌ جليل يمضي سنوات عمره سنداً للحق، وللدين. ولد فـي مدينـة حـران بالشام سنة ١٤٢ ثم انتقل إلى بلاد المغرب مع أبيه والذي كان قائداً للمجاهدين الـذين خرجوا لنشر الإسلام في بلاد المغرب.

منذ نعومة إظفاره كان محباً للعلم وحفظ القرآن، أصبح معلماً للقرآن الكـريم وهو في الثانية عشر من العمر، برع في الفقه، لذلك قرر الانتقال إلى المـشرق فـي رحلة علمية طويلة لذلك زار المدينة النبوية لسماع كتاب الموطأ وتلقى منـه أصـول مذهب مالك، وبعد ذلك ارتحل إلى العراق والتقى مع كبار تلاميذ أبي حنيفـة أمثـال محمد بن الحسن فتعلم أسد المذهب الحنفي.

وبعد ذلك ارتحل إلى مصر فكتب كتابه الشهير "المرونة" أو "الأسدية" وصـار المرجع الأول للفقه المالكي ببلاد المغرب.

عاد أسد إلى القيروان بعد رحلته العلمية بعلم جمّ في الحديث والفقه بالمدرستين الحنفية والمالكية، فأقبل عليه الناس واشتهر أمره وظهر علمه.

لم يمكن أسد يلتزم برأي واحد بل بلغ درجة الاجتهاد المطلق وكان دقيقاً شديد الضبط والتحرير.

كل هذا العلم والذكاء، وكان يمتلك الشجاعة والجرأة، وحبّ الجهاد الذي ورثه عن والده.

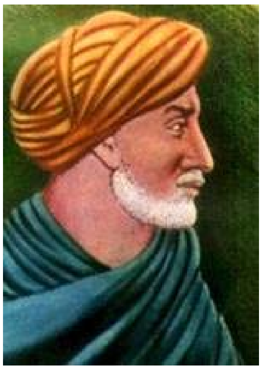
فلم يكن أسد بن الفرات من النوع السلبي من العلماء الذين يعيشون مع كتـبهم ولا يكترثون للأحداث في بلادهم، فلقد خرج مجاهداً في سبيل ا ، فكان عالمـاً نابهـاً وجندياً جريئاً وبحاراً ومغامراً، وكان يكره الشهرة والرياء، وظل يجاهد حتى الممـات فلقد خرج من القيروان في حملة عسكرية قوامها عشرة آلاف من المجاهدين المـشاة وسبعمائة فارس بخيولهم في أكثر من مائة سفينة كبيرة وصغيرة خرجت مـن مينـاء سوسة على البحر الأبيض المتوسط.

كان يحمل اللواء في يد ويتلوا القرآن، ليشجع المجاهدين، فـانهزم الأعـداء، وانتصر المسلمون انتصاراً حاسماً، واستطاع أسد بن الفـرات أن يحـرق الأسـطول البيزنطي.

أي خصال هذه التي امتلكها ذاك الشيخ الجليل علم وشجاعة، تقـوى وجهـاد، وأخيراً شهادة في سبيل ا ، فلقد لقي ربه مرابطاً مجاهداً بعيداً عن أهله ودروس العلم. فيا ليت بني قومي يتعلمون خصلة واحدة من خصال هذا الشيخ الكثيرة. رحم ا أسد بن الفرات وأسكنه فسيح جنانه، وليكن لنا خير قدوة في هذا الزمن المخيف.

ابن خلدون

مؤسس علم الاجتماع



رمز من رموز العلم العربي الإسلامي، وهو أبو زيـد عبد الرحمن بن خلدون.

وُلد ابن خلدون في تونس سـنة ٧٣٢ هجـري- سـنة ١٣٣٢ ميلادي. يعود نسبه إلى قبائل حضرموت، قـضى ابـن خلدون زهاء عشرين عاماً من عمره في حفظ القرآن وتجويـده بالقراءات، تلقّى على أيدي أقدر الأساتذة العلوم، والأدب والشعر والفقه والحديث، وتلقى أيضاً العلوم العقلية كالمنطق والفلسفة.

وما أن بلغ ابن خلدون السابعة عشر، حتى تعرّض لنكبة عميقة، فلقد انتـشر مرض الطاعون، وقضى على والديه والكثير من أساتذته العلماء.

قضى ابن خلدون زهاء ٢٥ عاماً متنقلاً بين بلاد المغرب الأدنـى والأوسـط والأقصى (تونس، الجزائر، المغرب- اليوم) وقد تولى وظائف ديوانية، فلقـد تـولى ديوان السلطان عندما بلغ العشرين من عمره.

انتقل بعد ذلك ابن خلدون إلى الأندلس، وأصبح سفيراً لعقـد الـصلح بـين الفونس بطرس القاسي وبين ملوك العدوة (المغرب) ونجح في المهمّة.

أصبح ابن خلدون بعد ذلك وزيراً في ديوان أمير بجاية بالمغرب، طلب منـه سلطان تلمسان أن يدجن قبائل رياح العربية ليحارب بهم، فنجح في مهمّتـه، وهنـاك تعرّف ابن خلدون على أحوال البدو ونمط حياتهم.

تفرّغ ابن خلدون بعد ذلك للتأليف فلقد أقام في قلعة ابن سلامة "وهـي قلعـة مشيّدة على مرتفع عالٍ ومنعزلة" مدة من الزمن وأخذ يقرأ الكتب وبدأ في تأليف كتابه "العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم مـن ذوي السلطان الأكبر".

قدّم ابن خلدون لهذا الكتاب بحثاً عاماً في شؤون الاجتماع الإنـساني، وهـذا البحث اشتهر فيما بعد بإسم مقدمة ابن خلدون.

لابو.. لابو

البطل الفلبيني المسلم الذي قتل ماجلان



لابو..لابو هو سلطان مسلم حكم جزيرة ماكتـان إحـدى جزر الفلبين المعروفة بجزر "المهراج" قديماً.

ماجلان الذي درّسوه لنا في كتبنا المدرسية على أنه بطـل الفتوحات الجغرافية لم يكن إلا مستعمر صليبي قذر،وقـد هـاجم جزر الفلبين وبعث للحاكم لابولابو هذه الرسالة:

"إنني باسم المسيح أطلب إليك التـسليم ونحـن العـرق الأبيض أصحاب الحضارة أولّى منكم بحكم هذه البلاد".

فأجابه لابو لابو: "إن الدين وأن الإله الذي نعبده هو إله جميع البشر علـى اختلاف ألوانهم".

لذلك قرر ماجلان الهجوم على لابو لابو، كان يومـاً مشمـساً، بـدأت سـفن ماجلان تقترب من سواحل جزيرة ماكتان في الفلبين كان ذلـك فـي عـام ١٥٢١ م. وجرت معركة بقيادة لابو لابو ورجاله يحملون سـهاماً مـصنوعة مـن الخيـزران والسيوف القصيرة القديمة، أما جيش ماجلان فلقد كـان مجهّـزاً بالـسلاح والخـوذ والتروسّ والدروع.

وانقضّ جنود ماجلان ليمزقوا الأجساد نصف العارية بسيوفهم الحادة، وبـدأت المواجهة، واللقاء الفاصل بين لابو لابو وماجلان، انقضّ ماجلان بسيفه على الـشاب المسلم.

وبقي لابو لابو مدافعاً، حتى ضرب ضربة من رمحه إلى عنق ماجلان فسقط على الأرض ميتاً، فكان سقوط القائد الرحالة ماجلان كفيلاً بهزّ كيان رجاله فتراجعوا هاربين.

وبذلك سطّر لابو لابو اسمه بطلاً من أسود الإسلام ،وكذلك بطلا قومياً للفلبين حيثقاوم الاستعمار واستطاع تجميع الفلبين بجميع طوائفهم وأديانهم ومذاهبهم على حبّه وتقديره، فحفظ لهم كرامتهم، وكتب المجد لهم بحروف من ذهب ، وأقامت دولة الفلبين له تمثال في مدينة لابو لابو عاصمة جزيرة ماكتان ليكـون شـاهداً علـى عظمتـه وأفعاله.

محمــد المسكـــي

الشاب العفيف

سبحان ا ، الوهّاب، المعطي بلا حدود، فلقد وعد ا سبحانه وتعالى عبـاده، فلقد قال رسول ا ﷺ: "من ترك شيئاً عوّضه ا خيراً منه".

وهذه القصة خير مثال:

بطل قصتنا شاب جميل الخلقة يُدعى محمد المسكي. كان هذا الشاب تقياً عفيفاً يعمل بائعاً متجولاً، وفي يوم من الأيام نادته امرأة لتشتري منه، وما أن رأت جمـال وجهه حتى أُعجبت به، وراودته عن نفسه فرفض الشاب خوفاً مـن ا عـزّ وجـلّ، ولكنها هددته إن لم يوافق على طلبها ستجمع عليه الناس.

فطلب منها أن يدخل الحمام كي ينظف نفسه ويتزيّن، فوافقت. فما كان منه إلا أن أخذ الغائط ووضعه على جسده وخرج عليها، فما أن رأته حتى صرخت أخرج أيها القذر من بيتي، فخرج فرحاً، وكان يمرّ بين الناس مستعجلا ليصل بيته ليغسل نفـسه من هذه القذارة ويتخلص من تلك الحالة، ولكن حدث شيء لم يكن يتوقعه ،هذا الغائط تحول ليصبح مسكا وصارت رائحته رائحة مسك.

أجل، لقد بدّل ا سبحانه وتعالى ذلك الشيء الذي حماه مـن الزنـا بالمـسك ،سبحان ا جلّ جلاله، فمن يخاف ا يجعل له مخرجاً. أين بني قومي مـن محمـد المسكي؟ ليت شبابنا وبناتنا يجعلون من محمد المسكي قدوة رائعـة لهـم فـي العفّـة والتقوى.

الأمير "بركة خان أعظم ملوك التتار"

عقيدة الولاء والبراء في أبهى صورها

بركة كان... هذا الرجل العظيم الذي ضرب أروع الأمثال في رسوخ عقيدة الولاء والبراء... فحارب بني جلدته في سبيل نصرة الإسلام والمسلمين.

بركة خان... هو السلطان العظيم والتتري الأول ناصر الدين أبو المعالي بركة خان بن جوجي بن جنكيز خان "حفيد الطاغية جنكيز خان الذي روّع العالم في القرن السابع الهجري".

وهو ابن زوج الأميرة رسالة بنت خورزم شاه التي وقعت في الأسر وهي أخت السلطان جلال الدين فكبرتي آخر سلاطين الدولة الخوارزمية. لذلك ظلت "رسالة" محافظة على إسلامها وشعائرها فتأثر بذلك أبنائها فدخل بعضهم في الإسلام...

كان بركة خان محباً لخالته زوجة أبيه "رسالة" لكن حبّه للإسلام فاق كل الأشياء... فذهب إلى العالم المسلم "نجم الدين مختار الزاهدي" وأخذ يستفسر عن الإسلام... والعالم يجيب بكل وضوح وإقناع... لذلك طلب بركة خان من العالم أن يؤلف له رسالة تؤيد بالبراهين والأدلة رسالة الإسلام وتوضح بطلان عقائد التتار وترد على المخالفين والمفكرين للإسلام...

فدخل بركة خان الإسلام إثر قراءته للرسالة "عن حب واقتناع ورغبة خالصة في نصرة دين الحق". بعدما أعلن بركة خان إسلامه كان أول ما فعله أن أرسل ببعثته للخليفة العباسي المعتصم ببغداد...

وبعد ذلك اعتلى رئاسة قبيلته وأخذ في إظهار شعائر الإسلام وأظهر بركة خان غيرته على الإسلام... عندما اتفق معه القائد بيبرس لمحاربة هولاكو... ولقد قال

لبيبرس في رسالته: "لقد علمت محبتي للإسلام وعلمت ما فعل هولاكو، بالمسلمين فاركب أنت من ناحية حتى آتيه أنا من الناحية الأخرى... فنهزمه ونخرجه من البلاد".

... يا أ   ما أعظم ذكر هذا السلطان وما أطيب ما معك... إخلاص وغيـرة على دين الحق... وجهاد في سبيل إعلاء كلمة ا   ... رحم ا   الأمير بركة خان الذي ظل غيوراً على الإسلام والمسلمين حتى آخر رمق... لقد قضى حياته خمـسة عـشر سنة في خدمة الإسلام ومحبة المسلمين ومحاربة أعداء الإسلام... ولم يكن له أولاد... ولم يترك ذرية لكنه ترك تاريخاً حافلاً في العمل للدين وإعلاء كلمـة ا   عاليـاً فـي السماء... حتى أن السلطان المملوكي الظاهر بيبرس... سمّى ولده الأكبر "بركة خان" حبّاً لشخص البطل العظيم.

"شهاب الدين الغوري"

البطل الشجاع والأمير المحنّك

هو البطل الشجاع والأمير المحنّك شهاب الدين محمد بن سام الغـوري قائـد القبائل الغورية ذات الأصل التركي (كانت تقطن في منطقة تقع بين رنه وهراه –وسط أفغانستان اليوم).

دخلوا الإسلام على يد السلطان محمود بن سبكتكين سنة ٤٠١ هجرية. أرسـل إليهم السلطان محمود بن سبكتكين الدعاة والمعلمين، فحسن إسلامهم وساعدوا السلطان في كثير من الحروب ببلاد الهند.

وكان من الذين تعلموا... شهاب الدين الغوري" الذي مضى في رحلة الجهـاد مبكراً... فبدأ "بالملتان" واستخلصها من يد القرامطة... شعر أمراء الهند بعودة التهديد الإسلامي من جديد ... بعدما ظهر شهاب الدين الغوري فقرروا التحالف فيما بينهم ...

في ذلك الوقت ... قرر شهاب الدين أن يمضي على طريق السلطان محمـود بن سكتبكين ... فلقد أراد تحقيق حلمه في أن تكون الهند كلها مسلمة ... وبدأ استكمال دور السلطان القدوة ...

وهكذا ظل يقاتل كفار الهند وكفار الترك بكل عزم وقوة ... بل ظل يقاتل على عدة جبهات ... داخلية وخارجية ... وكل همّه الدفاع عن الإسلام والمسلمين ونـشر كلمة الحق عالياً في السماء ... لذلك لم يكن يعرف بيتاً ولا راحة ... ولا يلاعب ولداً ولا يهنأ بأسرة ... ولا يستقر في مكان ... بل ظلّ على ظهـر حـصانه ... حـاملاً السيف والرمح، يحارب الهندوس والكفار من أمراء الغورية، ولقد قال كلمة في رسالة إلى أمراء الغورية:

لن أنام على فراش ولا أغيّر ثياب البياض عنّي أي ثياب الكفن وإنني سـائر إلى عدوّي معتمد على ربّي عزّ وجلّ لا على الغورية ولا على غيرهم، فإن نـصرهم

ا سبحانه ونصر دينه فمن فضله وكرمه وإن انهزمنا فلا تطلبوني، فلان أنهزم ولـ و هلكت تحت حواجز الخيل.

أي شجاع وإصرار يمتلك هذا القائد العظيم؟!

ألا ليت بني قومي يرسمونه في عيونهم قدوة.

خير الدين بربوس وأخوه عرّوج

الرجل الذي أسكت أجراس كنائس أوروبا



أصلهما من الأتراك المسلمين والدهما يعقوب بن يوسف من بقايا الفاتحين المسلمين الأتراك الذين استقروا في جزيرة مدللي إحدى جزر الأرخبيل، والدتها سيدة أندلسية مسلمة، ولها أخان آخران هما إسحاق ومحمد إلياس.

ينحدر خير الدين بربوس وأخوه عرّوج من عائلة مسلمة مجاهدة في سبيل إعلاء كلمة ا والدفاع عن المسلمين من بطش النصرانية المتمركزة في البحر المتوسط.

وبسبب الصراع بين الإسلام والنصرانية والتهجير الجماعي للمسلمين من الأندلس والظلم والمذابح التي حلّت بالمسلمين فلقد استطاع الأخوان خير الدين وعرّوج تجميع القوات الإسلامية في الجزائر والتوجّه إلى الهدف الوحيد وهو صدّ أعداء الإسلام عن التوسع في موانئ ومدن الشمال الإفريقي.

ولقد استخدم الأخوان أسلوب الكرّ والفرّ في البحر بسبب عدم قدرتهم الدخول في حرب نظامية ضد القوى المسيحية من الأسبان والبرتغال وفرسان القدّيس يوحنا، وبالرغم من ذلك فلقد حقّق المجاهدين نجاحاً بالغاً، فلقد أثاروا القلق لدى الأعداء.

وظلّ المجاهدون يناضلون حتى أصبح لهما قوة ضاربة وقويت حركة الجهاد البحري وأصبح لها عشرة مراكز مهمة في شرشال ووهران والجزائر ولي وغيرها من الأماكن.

وحقّق الأخوان العديد من الانتصارات على القراصنة المسيحيين لذلك منح السلطان "الحفصي" الأخوين حق الاستقرار في جزيرة جربه التونسية. واستنجد بهما

أهالي الجزائر مما بنى قاعدة شعبية لهما لدى الأهالي، استطاعا من خلالها حكم الجزائر وبعض المناطق المجاورة وقد تمكنا من دخول ميناء شرشال.

وحققا الكثير من الانتصارات على الأسبان بمساعدة الدولة العثمانية وتظهر صفات الأخوان واضحة وجلية ومدى حبهما للإسلام والدفاع عنه في رسالة التي بعثها أهل الجزائر إلى السلطان العثماني.

فلقد قالوا: "لقد كان عرّوج ناصراً للدين حامياً للمسلمين حتى وقع شهيداً في حرب الأسبانيين لمدينة تلمسان، وخلفه أخوه المجاهد في سبيل ا أبو التقي خير الدين، وهو خير خاف فلقد دافع عنّا ولم نعرف منه إلا العدل والإنصاف، واتباع الشرع النبوي الشريف، وهو ينظر إلى مقامكم العالي بالتعظيم والإجلال ويكرّس نفسه وماله للجهاد لإرضاء ربّ العباد وإعلاء كلمة ا ، ومناط آماله سلطتكم العالية، مظهراً إجلالها وتعظيمها على أن محبتنا له خالصة ونحن معه ثابتون ونحن وأميرنا خدّام أعتابكم العالية".

استطاع أن ينقذ ٧٠,٠٠٠ من المهاجرين الأندلسيين ، ونقلهم إلى الجزائر . فازدهرت مدينة الجزائر بفضل مهارة الأندلسيين الذين نقلوا إليها فنونهم وصناعاتهم ، وبفضل الغنائم التي كانت تجنيها من غزوات البحر.

تمكن من طرد الإسبان نهائيا من قلعة البينيون Penou Kalesi التي كانوا يحتلونها قبالة مدينة الجزائر ، وذلك سنة ١٥٣٠.

أليس هؤلاء أبطال؟ لا بد أن يبقوا في الذاكرة نتذكر أفعالهم الخالدة وذكراهم العطرة.

إنهم أبطال جمعوا بين العلم والجهاد والتأثير العميق على الشعوب، فكل هـذا الحبّ من أهالي الجزائر لهم يدلّ على صفاتهم النبيلة ومحبـتهم للـشعوب وتعـاملهم الحسن.

ولقد فصل في مقدمته في العمران البشري والبدوي وفي البلدان وبناء المساجد والهياكل، ويعتبر ابن خلدون المنشئ الأول لعلم الاجتماع، وإماماً ومجدداً في كتابة السيرة الذاتية، ويعتبر عالماً في علم النفس التربوي، وأنه لم يغادر أي فرع من فروع المعرفة إلا ألمّ به، فهو الرائد والسبّاق في علم الاقتصاد السياسي وعلم فلسفة التاريخ، وعلم الجغرافيا الإنسانية، وعلم الحضارات.

محمود بن سبكتكين
أعظم سلاطين الإسلام

محمود بن سبكتكين، أبن ناصر الدين سبكتكين مؤسس الدولة الفزنوية (مدينة في أفغانستان) سنة ٣٦٦ هـ - ٩٧٦ م.

ولقد استطاع والده أن يبسط نفوذه على البلاد المجاورة لمنطقته وأسس بذلك دولة كبيرة في جنوبي غرب آسيا.

بعد وفاة والده انتقل الحكم إلى الابن إسماعيل ومن ثم إلى الابن محمد، فأصبح سلطاناً على خراسان والجبال والسند والهند وطبرستان.

وأصبح بذلك يمين الدولة وأمين الملّة ناصر الحق ونظام الدين وعهد الدولة، محطّم الصنم الأكبر وقاهر الهند، والسلطان المجاهد العظيم، هكذا دعاه خليفة المسلمين القادر با رحمه ا .

كيف لا، وهو السلطان العظيم الذي وطأت خيله أماكن لم تطأها خيل المسلمين من قبل، ورفع رايات الإسلام في بلاد لم يدخلها الإسلام من قبل، وكانت مساحة .... من البلاد تعادل مساحة الفتوحات في عهد الفاروق عمر بن الخطاب ﷺ.

عندما تقلّد محمود بن سبكتكين مقاليد السلطة أظهر الـسن وقمع الرافضة والمعتزلة، ومضى بين الناس وقدوته عمر بن الخطاب، كان يعظّم المشايخ ويستمع إلى مشورتهم، ولقد حارب البدع والفتن، ونشر العدل بين الناس، ومضى حاملاً سيفه، فاتحاً للبلاد رافعاً راية الإسلام عالياً في السماء.

لم يستطع أحد على إظهار المعصية في دولته في دولته من خمر أو عـزف، كان سيفاً مسلولاً في وجه الظلم والمعاصي، واستطاع بمحبته للأدب والأدباء أن يعيش

وحوله الكثير من العلماء والشعراء أمثال أبو ريحان البيروني والبيهقي والفرخي والكسائي والدقيقي وغيرهم.

أما قصته مع الصنم فهي:

كان كلما هدم السلطان محمود صنماً قالت الهنود: إن الإله سومنات ساخط على هذا الصنم لذلك هُدم.

فسأل السلطان عن سومنات فقالوا له: سومنات أعظم أصنام الهنود وكانوا يحجّون إليه ليلة خسوف القمر. وكانوا يتقربون إلى هذا الصنم بالمجوهرات والأموال، وكان يقوم عند الصنم ألف رجل كل يوم للعبادة، وثلاثمائة لحلق رؤوس الزوار ولحاهم، وثلاثمائة رجل وخمسمائة امرأة يغنون ويرقصون.

قرر السلطان محمود هدم الصنم. لذلك قاد جيوشه وجرت معركة قتل فيها ٥٠ ألف هندياً، وكسر الصنم وأوقد تحته النار.

ظلّ السلطان محمود في جهاد دائم لا يكلّ ولا يملّ حتى لازمه المرض ومات رحمه ا وقبره ما زال معروفاً في "غزنه".

السلطان أورانك زيب عالمكير

ابن باني تاج محل



ولد السلطان أورانك زيب في بلدة دوحد في كجرات بالهند في ١٥ من ذي القعدة ١٠٢٨ هـ - ٢٤ أكتوبر ١٦١٩ م.

أبوه السلطان شاه جيهان أحد أعظم سـلاطين دولـة المغول المسلمين في الهند، باني مقبرة تاج محل الشهيرة التي تعدّ الآن من عجائب الدنيا السبع، والدته "ممتاز محل".

ظهرت لدى أورانك زيب منذ صغره علامات الجـدّ والإقبال لعى الدين والبعد عن الترف والملذات.

كان فارساً شجاعاً، نشأ وترعرع محباً لمذهب أهل السنة ونهل مـن مـذهب الإمام أبو حنيفة.

تعلم السلطان أورانك زيب عالمكير القرآن على يد الـشيخ محمـد معـصوم السرهندي، وبرع في الفقه الحنفي، تعلم اللغة العربية والفارسية والتركية وأتقن الخـط العربي، نشأ محبّاً للشعر فكان شاعراً.

تعلّم إدارة الدولة، وبرع فيها، لذلك قمع الثورات وطهّر البلاد وأظهر العـدل في الأرض، ويقال أن عهده هو عهد العدل والحق.

وظل مجاهداً طيلة حكمه من أجل إعلاء كلمة ا والجهاد في سبيله ولم يخلـد إلى الراحة يوماً حتى خضعت له شبه القارة الهندية كلها من مرتفعات الهميلايـا إلـى المحيط ومن بنغلادش اليوم إلى حدود إيران.

واستطاع السلطان أورانك زيب تحويل شبه القارة الهندية إلى ولايـة مغوليـة إسلامية خاض المسلمون في عهده ٣٠ معركة قادر هو بنفسه منها ١١ معركة أبطـل

أورانك ٨٠ نوعاً من الضرائب وفرضت الجزية على غير المسلمين بعدما أبطلها جدّه "جلال الدين أكبر".

وأقام المساجد والحمامات والمدارس وأصلح الطرق وبنى الحدائق، أبطل الاحتفال بالأعياد الوثنية مثل عيد النيروز، ومنع عادة تقبيل الأرض بين يديه والانحناء له، منع دخول الخمر إلى بلاده، وصرف أهل الموسيقى والغناء.

ومنع الخطب الطويلة التي تقال لتحية السلطان واكتفى بتحية الإسلام، وأمر بتأليف كتاب الفتاوى الهندية أو الفتاوى العالمكيرية.

وبنى مسجد بادشاهى في لاهور بباكستان الآن، كان عالماً يحب العلم والعلماء ويقرّبهم منه ويستمع إلى مشورتهم ويعظّم قدرهم.

ووفق إلى أمرين لم يسبقه إليهما أحد من ملوك المسلمين. الأول: أنه لم يكن يعطي عالماً عطية أو راتباً إلا طالبه بعمل أو بتأليف كتاب أو تدريس طلاب حتى لا يتكاسل. والثاني: أنه أول من عمل على تدوين الأحكام الشرعية في كتاب واحد "الفتاوى الهندية العالمكيرية" على المذهب الحنفي.

وألّف كتاباً شرح فيه أربعين حديثاً شريفاً، وكان يكتب بخطّه المصاحف ويبيعها ويعيش بثمنها تاركاً أموال المسلمين للمسلمين.

رحم ا السلطان أورانك زيب عالمكير لما جمع من زهد وفروسية، وقوة، وعلم، وقدرة على التغيير، ألا ليت قومي يقرأوا، ويعوا.

"ألب أرسلان" الكريم
لابس الكفن

يعود نسب ألب أرسلان إلى السلاجقة. وهم قوم رحّل تحـدروا مـن سـهول كريغر في تركستان، فاستقروا هناك واعتنقوا المذهب السنّي، ودافعوا عنه بكـل قـوة وحماسة.

ولقد وصف السلطان ألب أرسلان بالكرم والعدل والرحمة، فكان عاقلاً رحـيم القلب، يتصدق على الفقراء لا سيما في شهر رمضان، ولم يُسمع عن وقوع جناية في عهده فكان محافظاً على العهود، حريصاً علـى إحقـاق الحـق ورفـع الظلـم عـن المزارعين.

جرت بينه وبينهم الإمبراطور البيزنطي "رومانوس ويوجانس" معركة ولم يكن جيش السلطان ألب أرسلان مستعداً للمعركة، فقام السلطان ألب أرسلان فلبس البياض وصلى، وبعد ذلك خطب في الناس قائلاً: إن قتلت فهذا كفني.

فانهزم الروم هزيمة شنعاء بأمر ا سبحانه وتعالى، وتم أسـر الإمبراطـور البيزنطي، وجيء به مقيداً بالسلاسل بين يديّ السلطان ألب أرسلان.

فقال السلطان ألب أرسلان: ماذا تظن أني فاعل بك؟!

قال الإمبراطور: إن كنت ظالماً فاقتلني، أو كنت محبّاً للفخر فجرني بـالقيود إلى عاصمة ملكك، وإن كنت كريماً فأطلقني من الأسر.

فقال ابن أرسلان: إني كريم فأمر بالإفراج عنه وجهّزه بـ ١٥ ألـف دينـار يتزود بها وأطلق سراح أمرائه وقواده.

ألا يحق لنا أن نتفاخر ونقتدي بهذا السلطان والقائد الفـذّ الكـريم الـشهم ذو المروءة العفوّ الرحيم، أين نحن من هذا السلطان الرائع؟

مولاي عبد ا محمد

البطل الموريسكي

"الموريسكين" هم مسلمون اضطروا للبقاء في الأندلس المفقود، وأُجبروا علـى إظهار النصرانية وترك الإسلام.

لكنهم ظلوا متمسكين بالدين الإسلامي سراً، يحافظون علـى شـعائرهم قـدر استطاعتهم.

فلقد أراد رهبان أسبانيا القضاء على الإسلام وما تبقى من أثر المسلمين بكـل وسائل البطش والاضطهاد.

وعندما تولى الإمبراطور فيليب الثاني عرش أسـبانيا أصـدر حزمـة مـن القرارات ضد بقايا الأمة الأندلسية (ما تبقى من المسلمين) في الأنـدلس، فلقـد حـرم استخدام اللغة العربية والملابس العربية، هذه القرارات اللعينة أشعلت الثورة في قلوب الموريسكيين، فلا بد من خوض معركة الحياة أو الموت، وأعلن القائد محمد بن أميـه أن الثورة لا بد أن تبقى وتحقق أهدافها، لكن أيدي الغدر والخيانة طالت القائد محمد بن أميه قبل أن يحقق هدفه المنشود.

وأتى مولاي عبد ا محمد مجدداً للبيعة مع الثوار، فلا بد أن يقـود الثـورة، فالهدف لا بد أن يتحقق، ويبتعد ظلام الأعداء عن المكان.

واستطاع القائد الجديد مولاي عبد ا محمد بحكمته وفطنته أن يـنظم جـيش الثوار، فلقد أصبح على الطراز الدولي ويكاد يفوق فـي تنظيمـه الجـيش الـصليبي الأسباني، واستطاع الثوار الاستيلاء على عدة مدن هامة.

وأوقع الثوار هزيمة فادحة بالصليبيين في معركة مروعة فـي بلـدة جليـرا، ومضى مولاي عبد ا محمد في تحقيق الحلم الضائع إعادة دولة الإسلام في الأندلس. لكن الصليبيين الأسبان قابلوا ذلك بمنتهى القسوة والحقد، فمضوا في القتل والتخريـب لكل ما هو مسلم، فهدموا القرى والحقول حتى لا يبقى للثوار مكان أو مصدر للقوت.

وبعد ذلك أصدر فيليب الثاني قراراً بنفي الموريكسيين من مملكة غرناطة، ومصادرة أموالهم، ووضع قيوداً رادعة لكل من يخالف قراره.

وهكذا فرّ الكثير من الموريكسيين إلى أفريقيا، وظل القائد مولاي عبد ا محمد وجيشه الصغير معتصماً بأعلى الجبال مقاوماً للصليبيين، رافضاً لكل قرارات فيليب الثاني وظل بشجاعة وقدرة فائقة يقوم وجنوده بحرب عصابات ضد الحاميات الأسبانية في غرناطة.

حتى طالته يد الغدر والخيانة، فلقد استطاع الصليبيين الأسبان أن يغروا أحد ضباطه بالأموال والمنح والوعود والعفو الشامل، في سبيل اغتيال القائد البطل مولاي عبد ا محمد، وهكذا قضى القائد ضحية لحظة دنيئة ومؤامرة شنيعة.

أهكذا يفعلون في الأبطال الشجعان؟!

أهكذا يموّتون الأحلام؟!

أهكذا يدفنون الآمال؟!

لماذا يا أخوتي يموت صانعوا المجد؟!

ويمثل في جثثهم ويلاقون مصيراً أحمق.

مجاهد العامري

التاجر المجاهد

هو أبو الجيوش مجاهد بن يوسف بن علي الملقب بمجاهد العامري. نسبة إلى أستاذه ومعلمه الأول المنصور بن أبي عامر.

لقد جمع مجاهد العاري بين كثير من الصفات الحميدة فكان بطلاً شجاعاً ورعاً فقيهاً في علم اللغة والقرآن، وفي التجارة كان مجاهد ذكياً، عالمـاً بالـشؤون الماليـة والإدارية.

لقد فاق حبّه للقرآن كل عشق، ولقد انهال على علوم القراءات والتفسير واللغة العربية حتى أتمها وأصبح كأنما هو مالكٌ للمعرفة، وجمع من كتب العلم خزائن كثيرة.

كان مجاهد العامري من أعظم بحارة الإسلام ومن أكثرهم تدريباً على الغارات البحرية حتى أصبح أسطورة البحر المتوسط.

فكّر مجاهد في مشروع ضخم، لم يفكّر فيه أحد من أمراء دولـة الأنـدلس ألا وهو غزو جزيرة سردينية وفتحها.

لذلك أعدّ العدّة ومضى مع حملته في خليج كالياري في جنوب الجزيرة، وبعزم وصبر وقعت الجزيرة بأيديهم، فقام مجاهد بتوطيد وضع المسلمين بالجزيرة وأنشأ بها مدينة واسعة ونقل أهالي المجاهدين المسلمين إليها واستقدم زوجته وولده الوحيد وباقي أسرته.

لقد كانت غزوة جريئة، لا يفعلها إلا قائد جريء متمكّن، واثقاً بنفـسه، هكـذا كان مجاهد العامري دائماً، لا يهاب البحر، بل يمضي بعزم وإصرار، ولقـد تـصدى للحملة الصليبية التي أعلنها عليه وعلى الإسلام البابا بندكتوس الثامن.

لكن رداءة الجو وهبوب العواصف على أسطول المـسلمين أدى إلـى غـرق الكثير من السفن وبهذا كانت الهزيمة للمسلمين.

لكن إصرار مجاهد وعزيمته جعلا منه قائداً لا يركع، بـل واصـل حملاتـه البحرية في حوض البحر المتوسط مما جعله أسطورة البحار وكابوساً أقلـق كرسـي البابوية سنوات طويلة.

ميسون الدمشقية

امرأة ليست كباقي النساء

جلست بين صويحباتها يتبادلن أطراف الحديث، وأي حديث كان، لم يكن حديثاً كحديث أي النساء، الجالسات يتسامرن ويحتسين القهوة، كان حديثاً تطيب له النفوس، يشحذ الهمم ويستنهض الهامات.

لمّا الذل يحيط بنا في كل مكان، ولمّا يتربع الصليبيون على أرض فلسطين أين الرجال؟ أين الأمة الإسلامية، والمقدسات قد تدنست، والأعداء ينتهكون الأعراض ويعيثون في الأرض فساداً.

وقفت ميسون خطيبة، والصوت الهادر يخرج كأنما السماء أرعدت.

إن كنّا لم نخلق رجالاً نحمل السيوف وإذا عجز الرجال، فهل نعجز نحن عن العمل؟ لا أملك المال لأقدمه للقتال، وكنت قد قدمت أخواني الأربعة فداءاً للإسلام، في حروب الصليبيين.

ولم أندب حظي بل وقفت كالخنساء رافعة رأسي عالياً. لا أملك مالاً، لكنني أملك هذا، وجزّت شعرها، وحذت حذو صويحباتها، وجلسن يظفرن الشعر المجزوز ليغدو قيوداً ولجاماً للخيل.

ترى من هي هذه السيدة التي أنفقت في سبيل ا جمالها؟

إنها ميسون الدمشقية، وانطلقت بالظفائر إلى إمام الجامع الأموي ابن الجوزي وقالت: هذا ما قدمته نساء دمشق إلى الإسلام فانظر ما قدّم الرجال؟!

فوقف الإمام خطيباً بالناس، والدموع تنهمر من عينيه، وخرجت الكلمات كلآلئ الفضة، فالعربي ينصر العربي، والمسلم ينصر المسلم، والإنسان يرحم الإنسان، فمن لا يهبّ لنصرة فلسطين لا يكون مسلماً ولا عربياً ولا إنساناً.

اذهبوا يا فرسان الحرب، وخذوا المكاحل وأفسحوا الطريق للنساء، فمن شعورهن قد صنعن قيوداً.

أسامة بن منقذ

الأديب المجاهد

هو المظفّر أسامة بن مرشد بن علي بن منقذ الكناني.

وُلد بقلعة شيزر عام ٤٨٨ هـ، كان من الأمراء الأفاضل، أديباً وفارساً شجاعاً وشاعراً، له مواقف مشهورة، ومصنّفات عديدة.

قال فيه أبو سعد عبد الكريم بن منصور، أسامة بن منقذ أمير فاضل غزير الفضل وافر العقل، حسن التدبير، مليح التصانيف عارف باللغة والأدب، مجود في صنعة الشعر من بيت الإمارة والفروسية واللغة، مليح المجالسة حسن المحاورة.

ولقد لُقّب أسامة بن منقذ بمؤيد الدولة، وتاريخه يشهد له بالشجاعة والفروسية، والقدرة على الحوار كيف لا وهو الشاعر الكاتب والأديب.

ومن أشعاره:

كل يوم فتح مبين ونصر	**واعتلاءٌ على الأعادي وقهر**
صدق النعت فيك أنت معين	**الدين إن النعوت فالٌ وزجر**

كتب على حائط مسجد شيزر بحاب هذه الكلمات:

لك الحمد يا مولاي كم لك منةً	**عليّ وفضلاً لا يحيط به شكري**
نزلت بهذا المسجد العام قافلاً	**من الغزو موفور النصيب من الأجر**
ومنه رحلت العيس في عامي	**الذي مضى نحو بيت ا والركن والحجر**
فأديت مفروضي وأسقطت	**ما تحمّلت من وزر الشبيبة عن ظهري**

قال ابن كثير عن أسامة بن منقذ: لقد كان في شبابه شهماً شجاعاً فقتـل أسـداً وحده مواجهه.

إنه بطل حقيقي، بطل شجاع استطاع أن يقتل أسداً كبيراً وهو شاب صـغير، ومضى في الغزوات، في سبيل ا الفتح المبين.

رحم ا البطل الشجاع والشاعر والأديب أسامة بن منقذ، وجعلـه لنـا قـدوة نقتدي به، ونقتبس من حياته نوراً لحياتنا.

المعتمد بن عبّاد
أسير العيد

المعتمد بن عبّاد ملك إشبيلية، كان شاعراً حكيماً أديباً وكريماً، وكان ينتمي إلى أصل عربي عريق إذ كان من نسل المنذر بن ماء السماء، جدّه عبّاد قاضي إشبيلية ثم قوي نفوذه حتى صار ملكها.

قال عنه الشاعر ابن اللبانه/ ملك المعتمد من الحصون مائتي حصن ووُلد لـه مئة ولد. عاش ابن عبّاد في أيام ملوك الطوائف وهم ملوك تقاسموا الدولة الأموية في الأندلس، وكان يعيش بين تلك الدول ملك نصراني متعصّب شديد العداوة للإسلام.

هجم الملك النصراني على طليطلة فاجتاحها واحتلها، ثم أراد أن يهين المعتمد بن عبّاد فأرسل له رسولاً ومعه خمسمائة فارس يحمل رسالة تهديد من الفونسو بـأن على المعتمد أن يتنازل عن حصون معينة، فثارت في المعتمد شهامة الإسلام وجمـع العلماء فاتفقوا على الاستنجاد بزعيم المرابطين "يوسف بـن تاشـفين" فـي الـشمال الإفريقي.

فأمر الفرسان جميعاً وضرب الرسول، وفي الحال أصدر بن تاشـفين يتهـدده فكتب له على ظهر خطابه: "جوابك هو ما سوف ترى" والتقى الجمعان فـي مكـان قريب من بطليموس على حدود البرتغال، وأبلى المعتمد بلاءً عظيماً، وهـرب القائـد النصراني ورجاله.

لكن احترام ابن تاشفين للمعتمد ما لبث أن ذهب مع الريح، فلقد دخل المفسدون بينهما ووشوا إلى ابن تاشفين أن المعتمد يميل إلى الترف فتنكّر لصداقته وحلفه وأمـر بقتل ولديّ المعتمد فقامت معركة عنيفة بين أهالي إشبيلية والبربر انتصر فيها المعتمد أول الأمر لكن الدائرة دارت عليه فأسره جيش ابن تاشفين.

وقال المعتمد هذه الأبيات في المعركة:

قـــالوا الخـــضوع سياســـة	**فليبـــد منـــك لهـــم خـــضوع**
وألـــذّ مـــن طعـــم الخـــضوع	**علـــى فمـــي الـــسم النقيـــع**
مـــا ســـرت قـــطّ إلـــى القتـــال	**وكـــان مـــن أملـــي رجـــوع**
شـــيم الأولـــى أنـــا فهمـــو	**والأصـــــل تتبعـــــه الفـــــروع**

ولقد انتهى أمر المعتمد رحمه ا أن وقع في قبضة ابن تاشفين فحبـسه فـي سجن أغمات في تونس فقيراً مجرداً من ماله.

فقال شعراً في الحبس:

فيما مضى كنت بالأعياد مسرورا	**فجاءك العيد في أغمات مأسـورا**
ترى بناتك في الأطمـار جائعـة	**يغزلن للناس ما يملكن قطميـرا**
برزن نحـوك للتـسليم خاشـعة	**أبـصارهن حـسيرات مكاسـيرا**
يطأن في التراب والأقدام حافيـة	**كأنها لم تطـأ مـسكاً وكـافورا**
من بات بعدك في ملك يسرّ بـه	**فإنمـا بـات الأحـلام مغـرورا**

ولقد زاره في السجن شاعر ممن كانوا يمدحونه أيام ملكه وألقي على مسامعه قصيدة في مدحه فبحث المعتمد عن مكافأة يقدّمها للشاعر فلم يجد سوى عشرين ديناراً فأرفقها بأبيات اعتذار وقدّمها للشاعر ابن اللبانة، لكن الشاعر ردّها تقديراً لظروفه.

في السجن راقداً، ويبحث عن مكافأة يقدّمها للشاعر، إنه ملـك ولـه سـمات الملوك وطريقتهم وهيبتهم، فقلد كان كريماً بمعنى الكلمة، يخجل من ردّ اليـد خائبـة فارغة.

"قرقوش" بهاء الدين بن عبد ا الأسدي
الأمير المظلوم

يقول ابن خلكان في وفّيات الأعيان إن قرقوش لفظ تركي مـن قـره بمعنـى أسود. وقوش بمعنى نسر وتعني النسر الأسود.

وُلد قرقوش في قرية من قرى آسيا الصغرى (تركيا) وكـان مملوكـاً، لكنـه استطاع الهرب إلى بلاد الشام. وكان يتمتع بالحنكة والدهاء، لذلك استطاع أن يتعـرف على القائد أسد الدين شيركوه، وانضم إلى حاشيته وتدرب على فنون الفروسية والقتال وأظهر ذكاءً وحنكة شديدين.

وأصبح اسمه في دمشق "بهاء الدين بن عبد ا الأسدي". وظل قراقوش يتقدم ويترقى في مراتب الجيش حتى وصل إلى مرتبة الإمارة وشهد انهيار الدولة الفاطمية وقيام الدولة الأيوبية.

عيّنه صلاح الدين نائباً عنه في مصر، فقضى على الفتن التي زعزعت الحكم الأيوبي، ولقد كان رجلاً ذا همّة عالية فبنى سور القـاهرة وقلعـة الجبـل والقنـاطر الموجودة بالجيزة. ولقد استطاع قراقوش أن يحمي عرش العزيز ابن صلاح الدين بعد وفاة والده، وعندما مات العزيز أصبح الملك لابنه المنصور وكان صبياً في التاسـعة من العمر، فأصبح قراقوش وصيّاً على العرش.

ولقد ظلم التاريخ الذي وضعه بقايا الشيعة الفاطميين في مصر بهـاء الـدين الأسدي قراقوش بأن نُسبوا إليه صفات الظلم والقبح، وفي الحقيقة هو رجـل شـهم وعظيم، استطاع أن يحمي ملك الأيوبيين مرات عديدة.

لكن بعض الكتّاب والمؤلفين أمثال ابن مماتي القبطي هم الذين أسـاءوا إلـى أناس كثر منهم قراقوش الذي قضى عمره قائداً عسكرياً مدافعاً.

فصوّب نحو القمر فحتى لو أخطأت فأنت ستصيب النجوم، والناس لا يرمـون الشجرة الصغيرة بالحجارة، إنهم يصوّبون نحو الشجرة الكبيرة، أتمنى أن نكون أنصفنا قراقوش ولو قليلاً.

ابن ماجد

أسد البحار



هو شهاب الدين أحمد بن ماجد الـسعدي النجـدي الملقّب "بأسد البحار".

عالم بحّار مشهور وُلد في جلفـار (رأس الخيمـة) وهي إحدى الإمارات العربية المتحدة بالخليج العربي. عاش في ظفار في القرن التاسع الهجري.

ابن ماجد من عباقرة الحضارة الإسلامية، ينتـسب إلى عائلة من الملاّحين وكان أبوه يلقّب بربان البَـرين (أي البر والبحر).

وابن ماجد هو الربّان الذي أرشد قائد الأسطول البرتغالي فاسكو داجاما فـي رحلته من مالندي على ساحل إفريقيا الشرقية إلى كالتا في الهند سنة ١٤٩٨.

اشتهر ابن ماجد بعلمه في شؤون البحار وفي كل ما يتـصل بعلـم الملاحـة والفلك، ولقد خلّف الكثير من أعماله في مختاف العلوم الملاحية والفلكية وهو أول من طوّر البوصلة الملاحية بالمفهوم الحديث.

ولقد أسهم ابن ماجد في تأليف قاعدة علوم البحار، من أشهر الكتب: (الفوائـد في أصول البحر والقواعد) و (حاوية الاختصار في أصول علم البحار).

ذكر ابن ماجد في مؤلفاته أسماء الجزر والبلدان والسواحل والقياسات البحرية ومطالع النجوم وطريقة استخراج القبلة، وشرح المسالك البحرية بين ساحل وأخر.

وفي كتابه الفوائد في أصول علم البحر والقواعد يلقي الضوء على مدى تأثّر البرتغال بعلوم المسلمين، ويتحدث عن العلوم والثقافات التي يجب أن يلمّ بها ربّان السفينة.

فيقول ابن ماجد: لركوب البحر أسباباً كثيرة أهمها معرفة المنازل والمسافات والقياس والإشارات وحلول الشمس والقمر والرياح ومواسمها ومواسم البحر.

ولقد اعتمد ابن ماجد على المعرفة والتجربة في علم الملاحة الفلكية.

حدّد ابن ماجد هيئة كرة السماء بثلاث دوائر:

١- الدائرة التي تقسم الكرة إلى نصفين (شرقي وغربي) وهي دائرة منتصف النهار.

٢- الدائرة التي تقسم الكرة إلى قسمين متساويين، أحدهما شمالي والآخر جنوبي، وهي دائرة معتدل النهار.

٣-الدائرة الثالثة تلك التي تحيط بالأفق وتتقاطع مع الدائرتين السابقتين وتسمى الدائرة الأفقية.

ربط ابن ماجد ذلك بالتقويم البحري الأساسي (النيروز) عند البحارة العرب القدماء في مياه الخليج (والنيروز العربي هو الذي تكون بدايته في التاريخ الموافق الثالث عشر من شهر نوفمبر.

وبذلك يكون ابن ماجد قد سبق الكثير من العلماء الأجانب في علم الفلك والبحار. وأشارت الكتابات إلى أن بحّار البرتغال فاسكو ديغاما قد استقى معلوماته عن بحر الهند من المخطوطات العربية لابن ماجد.

وأن وليم بورن نسخ عن ابن ماجد (رهمانج البحر) أو دليل البحر، فالواجب يحتم علينا الآن أن نذكر ابن ماجد ونعيد تاريخه. هذا البحّار الشهير الذي منح للجغرافيا مكانة علمية ودون اكتشافاته بالشعر، أجل لقد كتب يصف الأشياء والملاحة شعراً.

فيقول عن دائرة الافنان (دائرة الحقة):

وانـصب لهـا دائـرة أفقيـة ... فـي صـحن أو رق بالـسوية
إشارة إلى الأفق في ذيل الـسما ... وخـط بـالخطوط لهـا قـسما

ويقول أيضاً:

إن لم تكن خابر في علم الفلـك ... ولا باسطرلاب علـم قـد سـلك
مع الربابين لها أيـضاً حـساب ... قد قستهم هنـاك بالاصـطرلاب

لقد تمتع ابن ماجد بالثقافة الواسعة، فيذكر في مؤلفاته العديـد مـن الـشواهد الشعرية والملاحظات المتعلقة بعلوم الفلك وطبقات الأرض والرياضـيات والفراسـة وعلم النفس والاجتماع ونلاحظ عنده اختلاط الشعر مع النثر.

عمر المختار

شيخ المجاهدين



وُلد عمر المختار في البطنان ببرقـة الليبيـة عـام ١٢٧٥ هـ - ١٨٥٨ م. وشاءت إرادة ا أن ينشأ يتيماً، فلقد توفي والده أثناء سفره إلى الحج، بعد ذلك ذهب عمر إلـى زاوية الجغبوب لإتمام دراسته، وظلّ بها ثمانية أعوام يحفظ القرآن ويتعلم العلوم الإسلامية.

اصطحبه بعد ذلك السيد محمد المهدي السنوسي إلى الكفرة وعيّنه شيخاً لزاوية القصور بالجبل الأخضر.

واحتل الاستعمار الإيطالي ليبيا عام ١٩١١ وارتكبوا الجرائم وعاثوا في الأرض فساداً، فدعا الزعماء السنوسيون إلى الجهاد -فلبّى عمـر المختار النداء- وأظهر في كفاحه ضد الاستعمار شجاعة نادرة وقدرة فائقة في القتال، فلقد كان مؤمناً بحق وطنه في الحرية والكرامة.

تولى عمر المختار قيادة المجاهدين وأخذ ينظم الهجمات المتتالية على العـدو، وأنشأ قاعدة عسكرية ومراكز لتدريب المتطوعين، فتوافد الناس من كل نحوٍ وصـوب ليشاركوا في الجهاد ضد المستعمر.

وكانت معركة الرحيبة ومعركة عقيرة المطمورة، علا شأن عمـر المختـار وازداد صيته، فالتفّ حوله الكثير من المجاهدين وتعاهدوا على النصر، من يومها لـم يعرف المجاهد الكبير طعم الراحة، بل ظلّ يجاهد بكل قوة وإصرار، فلا بد من القتال حتى الموت أو النصر.

ولقد حاول مشايخ قبيلته ذات مرة منعه من الجهاد لكبر سنّه، فقال لهم: "إن ما أسير فيه هو طريق الخير ومن يبعدني عنه فهو عدو لي ولا ينبغي لأحد أن ينهـاني عنه".

ولم تفلح مدافع الجيش الإيطالي في وقف هجمات عمر المختار ورفاقه فحاولوا استمالته وشراءه بالمال ووعدوه بحياة هانئة، لكنه رفض بشدة وأخذ يدافع عن وطنـه بكل ما أوتي من قوة.

شيخ في السبعين من العمر كأنما هو شاب في العشرينات بقوتـه وتـصميمه وقدرته على القتال والكرّ والفرّ.

لكن يد الغدر أبت إلا أن تطاله، فلقد وقع في الأسر وحكموا عليـه بالإعـدام شنقاً، وبقي الشيخ الجليل مقاوماً مؤمناً بقضاء ا وقدره ولم يستسلم، بل سار إلى حبل المشنقة بأقدام ثابتة وشجاعة نادرة ولسانه يردد الشهادتين، حتى نُفّذ فيه حكم الإعـدام ووجدا أنه لم يمت فأعادوا شنقه مرة أخرى.

لن ننساك يا عمر المختار، وستبقى في قلوبنا متربعاً، وفـي سـمائنا شـهيداً، تناجي روحك أرواح الأنبياء والصدّيقين.

رحم ا البطل الشهيد، اللهم هبنا بطلاً كعمر المختار، اللهم آمين، اللهم آمين.

سليمان الحلبي



قاتل عدو ا كليبر

وُلد سليمان الحلبي عام ١٧٧٧ في قرية كوكان التابعة لمنطقة عفرين في الشمال الغربي من مدينة حلب.

عمل والده في بيع السمن وزيت الزيت، وعندما بلغ سليمان العشرين من عمره أرسله والده إلى الأزهر لدراسة العلوم الإسلامية.

هناك توطدت علاقته بالشيخ أحمد الشرقاوي أحد أساتذته حتى أنه كان ينام أحياناً في منزل الشيخ الذي رفض الاستسلام للغزوة الفرنسية مساهماً في إشعال فتيل ثورة القاهرة الأولى عام ١٧٩٨ م.

وحصل صدام بين المتظاهرين الذين أجّجوا ثورة القاهرة والغزاة فحكموا على ستة من شيوخ الأزهر بالإعدام منهم الشيخ الشرقاوي.

في تلك الفترة غادر سليمان الحلبي أرض مصر إلى بلاد الشام، وعلم أن والي حلب العثماني قد فرض غرامة مالية كبيرة على والده، فتوجّه سليمان الحلبي إلى "أحمد آغا" (أحد انكشارية إبراهيم بك).

فوعده بالسعي لرفع الغرامة عن أبيه وأمره بالتوجه إلى مصر لأداء واجبه الإسلامي الجهادي وكلّفه بمهمة اغتيال الجنرال كليبر خليفة بونابرت.

في صباح يوم من سنة ١٨٠٠ كتب سليمان الحلبي عدداً من الابتهالات يتضرّع فيها إلى ا ، على الورق وثبتها في المكان المخصص لمثلها في الجامع الأزهر واتجه إلى بركة الأزبكية حيث يقيم الجنرال كليبر أربعة طعنات قاتلة، وطعن المهندس قسطنطين بروتاين فألقي القبض عليه في الحديقة، وحكم على سليمان الحلبي

بالإعدام بالخازوق ونُفِّذ الحكم. فلقد وضع سليمان الحلبي فوق تل حصن المجمع (تـل العقارب) وبقي جثمانه رحمه ا   على الخازوق عدة أيام.

هذه هي حكاية سليمان الحلبي، التي تؤكد أنه بطلاً حقيقياً، وفتىً مـن شـهداء الإسلام والحرية، ألا يستحق اسمه التخليد؟ ألا تستحق حياته وسيرته الكفاحية بالظهور أمام الملأ ليصبح قدوة للكثير من الشباب، هذا الطفل الذي ما تزال جمجمته معروضة في متحف انفاليد (الشهداء بالقرب من متحف اللوفر في باريس).

فلقد خصصت في إحدى قاعات المتحف إثنان من الرفوف، رفّ أعلى وضعت عليه جمجمة الجنرال كليبر وإلى جانبها لوحة مكتوب عليها جمجمة البطـل كليبـر، ورفّ أدنى وضعت عليه جمجمة سليمان الحلبي وإلى جانبها لوحـة مكتـوب عليهـا (جمجمة المجرم سليمان الحلبي).

عزّ الدّين القسّام

رجل كل البلاد العربية بلاده



وُلد الشيخ عزّ الدّين القسّام في بلـدة جبـل جنـوب اللاذقية بسوريا عام ١٨٨٢.

سافر القسّام وهو في الرابعة عشر من العمر مع أخيه فخر الدين إلى الأزهر لدراسة العلوم الشرعية، فتأثّر بكبـار شيوخ الأزهر أمثال الشيخ محمد عبده.

عاد القسّام إلى جبلة عام ١٩٠٣ واشـتغل بتحفـيظ القرآن الكريم، وأصبح بعد ذلك إماماً لمسجد المنصوري في جبلة.

قاد القسام أول مظاهرة تأييداً لليبيين في مقاومتهم للاحتلال الإيطالي، وكـوّن سرية نم ٢٥٠ متطوعاً وقام بحملة لجمع التبرعات، لكن السلطات العثمانية منعته مـن السفر لنقل التبرعات.

انتقل القسّام بعد ذلك إلى قرية الحفة الجبلية ليساعد عمر البيطار في ثورة جبل صهيون عام ١٩١٩- ١٩٢٠ فحكم عليه الاحتلال الفرنسي بالإعدام غيابياً.

قرّر القسّام الهرب إلى فلسطين مع بعض رفاقه واستقر في حيفا واتخذ مسجد الاستقلال في الحي القديم بحيفا مقراً له. وأخذ يعلّم الناس ويحارب الأمية، ثم التحـق بالمدرسة الإسلامية في حيفا وأصبح رئيساً لجمعية الشّبان المسلمين.

دعا القسّام إلى الجهاد وإلى ضرورة الاتحاد ونبذ الفُرقة والشقاق، وكان يـردد دائماً: "الثورة المسلحة هي الوسيلة الوحيدة لإنهاء الانتداب البريطاني والحيلولـة دون قيام دولة صهيونية في فلسطين".

كوّن القسّام خلايا سرية وأخذ يجمع التبرعات من الأهالي لـشراء الأسـلحة. عمله كمأذون شرعي سهّل عليه المهمة، فلقد استطاع أن يتنقّل بين القـرى بـسهولة ويسر، ومضى القسّام يحرّض القرى ضد الانتداب البريطاني. ويرسل الدُعاة إلى كـل

الأماكن ليحقق هدفه ألا وهو تحرير الأراضي المقدّسة من المستعمر، فكان لا بد من شرح أهداف الثورة بخطىً واثقة، وإيمان عميق، وتنظيم دقيق، مضى، ومضى وراءه رفاق، تركوا مجالس العلم والتعليم، تركوا البيت والحياة، فلا راحة بعد اليوم، وتوافد إليهم المتطوعون.

اكتشفت القوات البريطانية مكانه، لكن الشيخ القسّام استطاع الهرب إلى قرية الشيخ زايد، فلحقت به أيدي الغدر وطالبوه بالاستسلام فرفض واشتبك مع قوات العدو، وأوقع فيهم أكثر من ١٥ قتيلاً، ودارت معركة غير متكافئة بين الطرفين لمدة ٦ ساعات، سقط على إثرها الشيخ القسّام وبعض رفاقه.

وكان لمقتل الشيخ القسّام الأثر الكبير في اندلاع الثورة الفلسطينية الكبرى عام ١٩٦٣ فكانت نقطة التحوّل في مسيرة الحركة الوطنية الفلسطينية لاحقاً.

واستشهد القسّام وكل البلدان العربية بلاده، فلقد وُلد في سوريا، ودرس في مصر، وجاهد واستشهد في فلسطين.

ليون الطرابلسي
أمير البحار النصراني الذي أسلم

وُلد ليون لأبوين نصرانيين في بلدة اتاليا في جنوب شرقي الأناضـول، لكنـه أيقن أن الإسلام هو دين الحق. فاعتنق الإسلام صغيراً وحاول أبواه بكـل طريقـة أن يحولا بينه وبين الإسلام، لكنه ثبت على إ سلامه وانضمّ إلـى المجاهـدين البحـارة المسلمين الذين كانوا يجوبون البحار لمحاربة الأساطيل البيزنطية لردّها عن شـواطئ المسلمين.

انتقل ليون إلى مدينة طرابلس وتلقى دروسه العربية هناك، واكتـسب خبـرة وشجاعة وجراءة كبيرة من رحلاته البحرية، واشتهر بخفّة حركته وسرعته في اتخـاذ القرارات الحاسمة فاشتهر عند المسلمين باسم "رشيق".

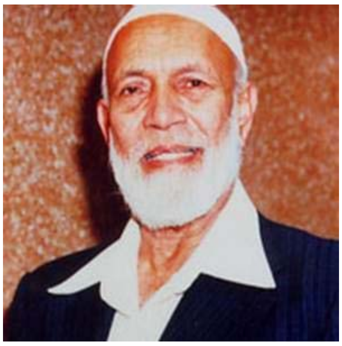
انتقل ليون إلى طرطوس وجمع تحت لوائه أشجع البحـارة المـسلمين حتـى صارت له عصبة قوية مغامرة تعد خلاصة أبطال الجهاد البحري.

وتعدّ معركة تسالونيكا، أعظم غزوة خلّدت ذكرى ليون، ففي سنة ٢٩١ استعان ليون با وخرج من طرطوس في أربع وخمسين سفينة، ولم يجرؤ الأسطول البيزنطي على حماية ثغور الدولة من سفن المسلمين فارتد إلى ضفاف الدردنيل تاركاً مياه بحر إيجة مفتوحة للمسلمين، ونزل الأبطال المسلمين وفتحوا أبواب المدينة.

واستمر ليون الطرابلسي أمير البحار في حملاته وغزواته البحريـة الجريئـة بمنطقة بحر إيجة، وكل ذلك وهو تابع وموالي للخليفة العباسي يأتمر بأمره ولا يردّ له طلباً ويقوم بأعظم الخدمات للدولة المسلمة من إضعاف للقوة البيزنطية وفـكّ أسـرى المسلمين، وجمع الغنائم والثروات لصالح الدولة المسلمة حتى استحق وبجـدارة لقـب أمير البحار، بل أعظم بحّار مسلم عرفه التاريخ.

الشيخ الداعية "أحمد ديدات

شيخ المناظرات



ولد أحمد حسين ديدات عـام ١٩١٨ فـي بلـدة تادكيشنار بولاية سوارات الهندية. هـاجر إلـى جنـوب إفريقيا في عام ١٩٢٧ ليلحق بوالده.

بدأ دراسته في العاشرة من عمره حتـى أكمـل الصف السادس الأساسي، لكن ظروفه الماديـة الـصعبة أعاقت إكماله للدراسة.

عمل بائعاً في دكان لبيع المواد الغذائية ثم سـائقاً ثم شغل وظيفة سائق في مصنع، وتدرج في المناصب حتى أصبح مديراً للمصنع.

في العام ١٩٥٩ توقف الشيخ أحمد ديدات عن عمله، حتى يتسنى له التفـرغ للمهمة التي نذر لها حياته (وهي الدعوة إلى الإسلام من خلال إقامة المناظرات وعقـد الندوات والمحاضرات) لذلك زار العديد من دول العالم.

اشتهر الشيخ أحمد بشجاعته وجرأته في الدفاع عـن الإسـلام والـردّ علـى الأباطيل والشائعات وأسلم على يديه بضعة آلاف من االنصارى من مختلـف أنحـاء العالم.

اشتهر بمناظراته التي عقدها مع كبار رجال الدين المسيحي أمثـال كـلارك جيمي سواجارت.

أسس الشيخ أحمد معهد السلام لتخريج الـدعاة والمركـز الـدولي للـدعوة الإسلامية بمدينة جنوب إفريقيا. ولقد ألّف ما يزيد عن عشرين كتاباً وطبـع الملايـين منها لتوزع بالمجان، ومنح جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام عام ١٩٨٦.

طريقه إلى الدعوة:

يقول الشيخ أحمد، كنت أعمل في دكان قريب من موقع إرسالية ادمز ميـشين كلين ادمز وكان الطلبة يأتون إلى المحل عادةً، وكانوا يتحدثون إلينـا عـن الإسـلام والنبي محمد ﷺ كلاماً شنيعاً.

ولم أكن أستطيع مناظرتهم والدفاع عن إيماني وعقيدتي، فماذا أفعل كمسلم هل أردّ على الهجوم؟! ولكن كيف وليس لدي من العلم والمعرفة ما أردّ به، هل أرهب من المكان؟

وهل الهروب هو الطريق؟

كان لدي شوق للحصول على المعرفة والقراءة، وفـي صـباح يـوم دخلـت المخزن الخاص برئيسي في العمل وأخذت أبحث وأبحث في كومة صـحف قديمـة، أبحث عن مادة أقرها، فجأة عثرت على كتاب قد قضمت أجزاءه الحشرات، وحينمـا أمسكت بالكتاب تعالت رائحة العفن إلى أنفي، قرأت عنوان الكتاب (إظهار الحق).

كان وقعه على أذني عظيماً.

كتاب قديم صدر في الهند عام ١٩١٥ أي قبل ميلادي بـثلاث سـنوات هـذا الكتاب غيّر حياتي تماماً، حوّل دربي إلى درب النور، لقد استطعت بفضل هذا الكتاب التحدث إلى الناس عن الأديان من منطلق المقارنة وطلب البرهان والحجّة، هكذا كانت البداية من هذا المكان.

وبقي الشيخ أحمد ديدات يمارس ما تعلمه من الكتاب في التصدي للمبـشرين، ويزورهم في بيوتهم بعد أن ينتهوا من الكنيسة.

ومن أقواله الرائعة أفضل أداة لكي تتعلم أن تعلّم الآخرين، وفي عـام ١٩٩٦ أصيب الشيخ أحمد ديدات فارس الإسلام بمرض عضال أقعده طريح الفـراش تـسع سنوات، لكنه واصل دعوته من خلال الرسائل التي كانت تتدفق عليه يومياً من جميـع أنحاء العالم عبر الهاتف أو الفاكس أو الإنترنت.

رحم ا الشيخ رحمة واسعة وأسكنه فسيح جنانه.

المراجع:

الكثير من كتب السير والتاريخ ومواقع الإنترنت الإسلامية